بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

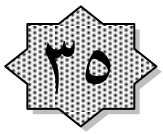

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٣٥ ـ ربيع الثاني ١٤٣١هجرية قمرية

فروردين ١٣٨٩هجرية شمسية / ابريل (نيسان) ٢٠١٠

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦ ٩٨٢١ + هاتف: ٨٨٣٢١٤١١ ٩٨٢١ +

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني: info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٣٥

القرآن ونظريتي تنازع البقاء وانتخاب الأصلح/ العلامة الطباطبائي ٤

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ١٠

ربيع الحياة وحياة الربيع/ الشيخ محمد علي التسخيري..... ١٨

منهج السيد الحكيم في التقريب(٢/٢) ٢٢

الشيخ حبيب آل ابراهيم رجل الحضارة والتقريب/ العلامة فضل الله ٤١

العلامة محمد جواد مغنية معاصرة وصراحة ٤٧

معوقات أمام الوحدة الإسلامية/ الداعية الإسلامي فتحي يكن..... ٥٥

معالم مشروع الوحدة الثقافية عند الشيخ محمد الغزالي..... ٦٢

بين الشيخ الرشتي ودار التقريب ٨٧

صوت الإنسانية/ فريز حسن سمّوني..... ١٠٩

أخبار التقريب ١١١

القرآن ونظريتي
تنازع البقاء وانتخاب الأصلح

محمد حسين الطباطبائي*

• شاعت فكرة الصراع في الرؤية المادية للكون والحياة • نظريات الصراع إن صحت في بعض مواضعها فإنها لا تصلح لأن تكون قاعدة عامة • نحن نعتقد أن مبدأ "الاستخدام" فطري • هذا المبدأ هو الذي يتحكم في مسيرة البشرية • ومبدأ الاستخدام يؤدي إلى تشكيل المجتمع البشري • كل أطروحة لا تتناسب مع هذا الأساس الفطري تؤدي إلى هدم المجتمع التعاوني.

ذهب العلماء والمفكرون في تفسير المسيرة البشرية وما يعتريها من مظاهر فناء وبقاء وتطوّر إلى مذاهب شتى، وشاع في الفترة الأخيرة على لسان علماء الطبيعيات أن الكائنات الحية في حالة صراع دائم وشامل، وهو ما عبر عنه بتنازع البقاء، وهذا الصراع يسفر دائما عن انتصار الأنواع القوية وسقوط الضعيفة واضمحلالها وهذا ما سمي بنظرية انتخاب الأصلح. وعن هذا الطريق تطوي الطبيعة بجميع مظاهرها مسيرتها التكاملية.

* - عالم كبير، صاحب تفسير «الميزان».

واتخذ هؤلاء العلماء من التجارب العلمية التي أجروها على أنواع الحيوانات والنباتات وما شاهدوه من انقراض بعض الأحياء في نقاط مختلفة من العالم دليلاً على صدق ادعائهم.

لقد فسّرت مظاهر تطور المجتمع البشري وتكامله استنادًا إلى هاتين النظريتين أيضًا، فقالوا إن المجتمعات الإنسانية في حالة صراع ونزاع ولا يبقى منها سوى المجتمعات القوية. والتاريخ سجل لنا حضارات سادت ثم بادت وفنيت بعد أن فشلت في معركة تنازع البقاء.

لكن هاتين النظريتين واجهتا على الصعيد العلمي ردودًا متعددة، منها أن عالم الطبيعة قد احتفظ بموجودات أضعف مع وجود أنواع أقوى وأصلح للبقاء، كما أن بعض النباتات والحيوانات الضعيفة أمكن تبديلها بأنواع أقوى عن طريق تربية الإنسان لها.

وهؤلاء الذين ردّوا النظريتين افترضوا نظرية أخرى لتفسير مظاهر تكامل الطبيعة وهي نظرية «البيئة»، فقالوا إن كل موجود مجبر على أن يتلائم مع الظروف الزمانية والمكانية والعوامل الطبيعية التي تحيطه، من هنا فإن اختلاف الحيوانات والنباتات وبقائها وانقراضها وتكاملها خاضع بأجمعه للظروف الجغرافية وسائر العوامل الطبيعية، وحاول أصحاب نظرية البيئة أن يجيبوا على ضوء نظريتهم على الأسئلة التي عجز أصحاب نظرية انتخاب الأصلح عن الإجابة عليها.

لكن هذه الفرضية لم تقو على النهوض أمام الردود العلمية التي جوبهت بها، إذ إن أنواعًا كثيرة من الحيوانات والنباتات لم تستطع حتى الآن أن تتلائم مع ظروف البيئة التي تحيطها.

من هذه المقدمة نفهم أن الأسس الثلاثة المفترضة لتفسير تكامل الموجودات الحية إن صحت في بعض مواضعها فإنها لا تصلح لتعميمها كقانون عام شامل.

إضافة إلى ذلك فإن هذه الفرضيات ذات أثر سيء جدًا لو أردنا أن نفسر مسيرة المجتمعات البشرية على ضوئها. فلو فسرنا المسيرة البشرية على أساس نظرية تنازع البقاء لكان لزامًا علينا أن نقبل أن جميع الحروب والنزاعات الدموية بين أبناء البشر هي ظاهرة طبيعية لا يمكن اجتنابها.

و«انتخاب الاصلح» يسلب الطبقات الضعيفة حق الحياة، ويعتبر اعتداءات الأقوياء عليهم مسألة طبيعية لا ضير فيها!

وفرضية «البيئة» هي الأخرى تسلب الإنسان استقلاله الروحي والفكري وتجعل منه موجودًا خاضعًا للظروف الطبيعية التي تحيطه لا حول له فيها ولا قوة.

ولا يفوتنا أن نذكر أن الأساس الفلسفي العام لنشوء الظواهر المادية وتطورها وتغيرها هو قانون العلية. فكل موجود مادي - حسب هذا القانون - يؤثّر في الموجودات الأخرى كي يجعل منها موجودات مشابهة له، وهذه الظاهرة تبرز على شكل تنازع بقاء في العلل والمعلولات المادية.

ولابد بعد ذلك للعلل القوية أن يكون تأثيرها المادّي منصبًا على العلل الاضعف منها، وهذا ما عبر عنه بظاهرة «بقاء الاصلح».

كما أن تفاعل العلل والمعلولات لا يتم إلا تحت ظروف خاصة مناسبة وهذا ما تم التعبير عنه بضرورة التلائم مع البيئة.

لكن هذه الظواهر تصح حينما يكون التأثير المتبادل بين الموجودات المادية على شكل علة ومعلول فقط، ولا يمكن أن تنطبق هذه الفرضيات ـ في المفهوم الفلسفي ـ على الموجودات التي ليس بينها مثل هذه العلاقة.

رأي القرآن

ظن بعض المفسرين أن بعض آيات القرآن الكريم تشير إلى نظريتي تنازع البقاء وانتقاء الأصلح منها:

١ ـ ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ﴾ (الرعد ١٩).

فهؤلاء ذهبوا إلى أن سيل الحوادث الطبيعية والاجتماعية تقضي على الظواهر الضعيفة التي لا تقدر على البقاء، وهي ما تمّ التعبير عنه بالزبد في الآية الكريمة، ولا تبقى الا الأنواع التي تستطيع أن تحافظ على مقومات وجودها في الطبيعة والمجتمع.

٢ -﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج/٤٠).

وقد قيل إن صدر الآية يشير إلى قانون تنازع البقاء وذيلها إلى انتقاء الأصلح.

٣ -﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة/٢٥١).

وهذه الآية تشير ـ في زعمهم ـ ايضا إلى النظريتين المذكورتين.

إن نظريتي «تنازع البقاء» «وانتخاب الأصلح» يصحان ـ كما ذكرنا ـ في نطاق معين خاص. والمفهوم القرآني الذي يؤكد على قانون العلية ينسجم مع هاتين النظريتين في الإطار الذي يصحان فيه، لكن الآيات الكريمة المذكورة لا تتعرض إلى النظريتين.

فالآية الكريمة الأولى تؤكد على أن الحق ثابت وباق والباطل زائل لا محالة، ولا تتعرض الآية إلى نوع من التنازع والصراع على الإطلاق.

والآيتان الثانية والثالثة تشيران فعلا إلى صراع أنصار الحق والباطل، وانتصار الحق. لكن هذا الانتصار لا يؤكد نظرية انتقاء الأصلح، إذ إن الآيتين لا تشيران إلى أن هذا الانتصار حدث بسبب ما جُهز به أنصار الحق من قوى طبيعية، بل تؤكدان على النصر الإلهي كعامل أساسي في هذا الانتصار. إضافة إلى ذلك

فالآية الثانية تؤكد على الضعف المادي لأنصار الحق.

من كل ما تقدم يتضح أن هذه الآيات ليس لها أية دلالة على تأييد القرآن لنظريتي تنازع البقاء وانتخاب الاصلح.

نحن نعتقد أن الأساس الذي يتحكم في المسيرة البشرية هو أساس «الاستخدام» وإلى هذا تشير الآية الاخيرة.

فالإنسان يميل فطريًا إلى الاستفادة من قوى الآخرين وطاقاتهم، وما من فرد على استعداد لان يمنح الآخرين شيئا من قوته وطاقته دونما مقابل، فلابد للإنسان أن يعطي الآخرين شيئاً من قواه وطاقاته كي يستفيد من قوى الآخرين.

وأساس الاستخدام هذا ينتهي إلى تشكيل «المجتمع التعاوني». وهذا الترابط بين قوى الأفراد يضمن بقاء المجتمع البشري ورقيه وتكامله، وهو ترابط ثابت ودائم لأنه يستند إلى أساس غريزي.

وكل أطروحة لا تتناسب مع هذا الأساس الغريزي فإنها تؤدي إلى هدم المجتمع التعاوني أو ـ الفساد في الأرض ـ على حد التعبير القرآني.

فالله سبحانه يقي الأرض من الفساد عن طريق دفع الناس بعضهم ببعض. وهذا الدفع هو الذي يضمن بقاء المجتمع ودوام الروح التعاونية فيه.

فالآية الثالثة لا تشير إلى نزاع فئات المجتمع ولا تعني أن هذه الفئات تتصارع ويفني بعضها الآخر كي نستنتج منها تأكيد القرآن على تنازع البقاء، إذ إن مثل هذا الصراع يفسد الأرض والمجتمع ويوهن عرى التعاون بين الأفراد.

بمناسبة إعلان هذا العام عام العمل المضاعف والهمّة المضاعفة

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

العمل ومكانته في الإسلام

العمال يجب أن يعرفوا كيف يدخلون ساحة خدمة النظام ويدفعون عجلة الاقتصاد، وينتجون البضائع بمواصفات ممتازة، روي عن رسول الله(ص) قال: «رحم الله امرءًا عمل عملاً صالحًا فأتقنه». العمال يتحملون مسؤولية رفع كفاءاتهم المهنية، وليعلموا أن سعيهم سوف يُرى. وعلى أصحاب العمل حكوميين أو غير حكوميين أن يدركوا أهمية جهود العمال وما يستحقونه من أجر. الاهتمام بهذا الأمر مما يرضي الله سبحانه.

قيمة العمل في المنظومة الإسلامية

العمل له مكانة سامية في أدبيات القرآن والإسلام. ليس العمل طبعًا مقتصرًا على العمل في المصنع أو المزرعة أو المجالات الأخرى، القرآن إذ يؤكد على العمل الصالح فإنه يشمل هذه الأعمال أيضًا. أي إن العامل حين يجهد منطلقًا من وجدان العمل، ومن شعور بالمسؤولية، وبجد واجتهاد، وبابتكار، وبهدف إدارة حياة عائلة، فهو عمل صالح.

العمل الصالح يشمل هذا أيضًا، وأي شيء أفضل من هذا؟ أن

يشتغل الإنسان لكسب معاشه وإدارة حياته وأسرته، وهو في الوقت نفسه يمارس عملاً صالحاً هو عِدْل الإيمان: ﴿ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

دور العمل في التنمية الاقتصادية

في التنمية الاقتصادية لا بدّ من تقوية العمل، لا يتحقق شيء بدون العمل. نعم توظيف رأس المال ضروري، لكنه ركن، الركن الأساس هو عمل العامل. بدون العمل الذي ينطلق من اندفاع، ومن خبرة، ومن دأب وصبر ومثابرة وتحمّل الظروف الصعبة لا يمكن إنقاذ البلاد، البلد بدون مثل هذا العمل لا يمكن أن يحقق أهدافه.

الشعب الإيراني اليوم يستهدف تحقيق استقلاله الاقتصادي. يستهدف تحرير اقتصاده من التبعية لعائدات النفط. يستهدف أن يصل باقتصاد البلد إلى درجة بحيث لا تتأثر إيران حين تهبط أسعار النفط. كيف يمكن أن يتحقق ذلك؟ إن أراد الشعب الإيراني أن يستغني عن عائدات النفط لا بدّ من تقوية مسائل العمل ونظرتنا إلى العمل .

قداسة العامل

لا بدّ أن تأخذ كلمة «عامل» قداستها في مفاهيمنا الدينية والاجتماعية. العامل يحظى بقداسة. العامل من يسعى لتحقيق عزة بلاده واستقلالها. هذه مسألة يجب أن تتحول إلى إيمان تام بين

كل المواطنين. على الجميع أن يعرفوا مدى أهمية العامل. العمال ينهضون بدور هام في البلد. عبء الإنتاج يقع على عاتق العمال. عنوان «العامل» ينطبق على كل من يسعون إلى تطوير البلاد، وإلى تنمية إنتاج البلاد، وإلى تحسين وضع العمل في البلاد.

المسؤولون في دولتنا الإسلامية يكررون الثناء والتقدير والتكريم تجاه العمل والعامل. ليست هذه ألفاظ تُطلق. وليست هذه مجاملات. نعم، في العالم هناك من يتبجح بمناصرة العامل. ولكن الفرق واضح بين من يطلق الشعارات ليكسب ودّ فئة معينة، وبين من ينظر إلى العمل باعتباره من الصالحات ويرى أن له قيمة معنوية وإلهية. منطق الإسلام يرى العمل عبادة والعامل يؤدي في عمله عبادة.

واجب النظام تجاه العمّال

من المؤكد أن أحد الواجبات الأساسية لنظام الجمهورية الإسلامية هو أن يوفّروا لهذه الفئة الكادحة – التي لها أكبر الحقّ في الإنتاج وإدارة الاقتصاد ــ التمتع بحقّها المشروع الإنساني والإسلامي. لا بدّ من تحسين أوضاع العمّال المادي والمعنوي. لا بدّ من سنّ القوانين المناسبة وزيادة فرص العامل كي لا يبقى في المجتمع الإيراني فقير. العمل ـ الذين يشكلون الفئة المستضعفة للمجتمع ـ يجب أن يحظوا بالأولوية في مشاريع التنمية الاقتصادية سيتحسّن العمل إذا تحققت الضمانات اللازمة للعامل وسُدّت احتياجاته.

قيمة العامل في المجتمع

استقلال البلد يرتبط بالعمل. لا يمكن أن يبلغ أي بلد من البلدان وأي شعب من الشعوب إلى ما يصبو إليه بالبطالة والانهماك في الترف واللامبالاة. قد تكون له عائدات من قطاع معين، وأن تتوفر له في الظاهر حياة مرفّهة، وتتدفق عليه المنتجات الأجنبية لتملأ جوانب حياته، لكنه سوف لا يكون مستقلاً. وعزّة أي شعب في استقلاله، وهي لا تتحقق إلاّ بالعمل. هذه هي قيمة العمل. هذه هي نظرة النظام الإسلامي إلى العامل. وبهذه النظرة يقرر أجرًا لمن يقبّل يد العامل! تقبيل يد العامل عمل رمزي هام لأنه تكريم لاستقلال الشعب والبلد. إلى هذه الدرجة تبلغ قيمة العمل.

العامل في الرؤية الرأسمالية والاشتراكية والإسلامية

في منطق النظام الرأسمالي، العامل لا يعدو أن يكون آلة من الآلات يستخدمها صاحب العمل. وفي منطق النظام المنهار المضمحل الذي كان يدّعي الدفاع عن العمّال، كان المنطق يدور فيه حول الصراع الطبقي بين العامل وربّ العمل من خلال إعلان الصراع الطبقي. كان ذلك النظام يستهدف تسويق اسمه باعتباره مدافعًا عن العمال. بينما كان ما يسمى بالنظام الاشتراكي في الاتحاد السوفيتي السابق يعيش نفس ما في النظام الرأسمالي من فساد وإسراف مالي باسم العمال وباسم الدفاع عن الطبقة العاملة!

الإسلام والنظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية يرفض هذين المنطقين، ويؤمن بأن مراكز العمل والأشغال تشكل أحد الذراعين، والذراع الأخرى قوة العامل.

لابد من وجود الاثنين وتعاون الاثنين لإيجاد خط عادل وسط لهذا التعاون، ولكي لا يتصرف أحدها على حساب الآخر. لو حدث هذا لساد المجتمع السلامة والصفاء. سوف لا ينتشر الإسراف والبطر، ولا يبقى حرمان تلك الطبقة. هذا هو منطق نظام الجمهورية الإسلامية.

دور المرأة في عصر إعادة البناء

في عصر إعادة بناء بلدنا الإسلامي ـ حيث الشعب والمسؤولون منهمكون في إعادة بناء إيران الكبرى ماديًا واجتماعيًا ومعنويًا ـ يكون الاعتماد الرئيس على الطاقات الإنسانية.

أي بلد إذا أراد أن يحقق إعادة البناء بمعناه الحقيقي يجب أن يكون اعتماده الأكثر وتوجهه الأكثر نحو الإنسان والطاقات الإنسانية. وحين يدور الحديث عن الطاقات البشرية يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار أن نصف سكان البلد، ونصف الطاقات البشرية فيه هم النساء. إذا كان هناك تصور خاطئ تجاه المرأة فلا يمكن تحقيق إعادة البناء بمعناه الحقيقي وفي الإطار الواسع. على النساء أنفسهنّ بالاستناد إلى مفاهيم الإسلام السامية أن يدافعن عن حقوقهنّ بشكل كامل، وكذلك الرجال في البلد الإسلامي لا بدّ أن يعرفوا نظرة الإسلام إلى المرأة، وإلى حضورها في الساحة

الاجتماعية، وإلى ممارسة نشاطها العلمي والتعليمي، ومشاركتها في الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية ، ودورها داخل الأسرة وخارجها.

المرأة المسلمة، كالرجل المسلم، يحق لها حسب ما تقتضي الظروف أن تؤدي الواجب الذي تستشعره لسد فراغ في المجتمع. لو أن فتاة أرادت مثلاً أن تصبح طبيبة، أو أن تمارس نشاطًا اقتصاديًا، أو أن تعمل في حقل علمي أو أن تدرّس في الجامعة، أو أن تدخل الساحة السياسية، أو أن تكون صحفية.. فالساحة أمامها مفتوحة، شرط رعاية العفة والعفاف وعدم اختلاط المرأة والرجل. الساحة مفتوحة في المجتمع الإسلامي أمام المرأة والرجل. وهذا ما قرره الإسلام في جميع نصوصه حيث جعل المرأة والرجل متساويين تجاه جميع التكاليف الإسلامية والمهام الاجتماعية.

المرأة أيضًا يجب أن تهتم وتستشعر المسؤولية تجاه شؤون المسلمين والمجتمع الإسلامي وأمور العالم الإسلامي وما يدور في الساحة العالمية، إنها مسؤولية إسلامية.

النشاط الاقتصادي للمرأة

في الرؤية الإسلامية، ساحة النشاط العلمي والاقتصادي والسياسي مفتوحة تمامًا أمام المرأة. لو أراد شخص باسم الدين أن يحرم المرأة من العمل العلمي ، ومن النشاط الاقتصادي، أو من ممارسة النشاط السياسي والاجتماعي فإنه تصرّف خلافًا لأمر الله سبحانه. المرأة تستطيع أن تشارك في النشاطات بمقدار ما

تسمح لها مقدرتها الجسمية وتفرضها الحاجات والضرورات. الشارع المقدس لا يمنع أن تمارس المرأة النشاط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ما وسعها ذلك. طبعًا، المرأة أكثر ظرافة من الرجل ولذلك ضرورات، من هنا كان فرض الأعمال الثقيلة على المرأة ظلم لها. الإسلام لا يوصي بذلك كما أنه لا يمنعه. روي عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قوله: «المرأة ريحانة وليست قهرمانه» وهو خطاب للرجل يقول له: إن المرأة في البيت كالزهور والرياحين في لطافتها، فعاملوها معاملة تتناسب مع طبيعتها، ليست المرأة قهرمانة أي ليست وكيلة تصريف أعمالكم كي تفرضوا عليها ما تشاؤون من أعمال ثقيلة، هذه مسألة هامة.

أيضًا حول النشاط الاقتصادي للمرأة

في ساحة النشاطات الاجتماعية بما في ذلك النشاط الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بمعناه الخاص، والنشاط العلمي، والدراسة والتدريس، والسعي على طريق الله، والجهاد في مختلف ميادين الحياة، ليس ثمة فرق بين الرجل والمرأة في رأي الإسلام. طبعًا هناك بعض ميادين العمل أُعفيت منها المرأة لأنها لا تتناسب مع تركيبها الجسمي. بعض الأعمال أيضًا أُعفي منها الرجل لأنها لا تتناسب مع تركيبة الجسمي والروحي. هذا التقسيم للأعمال لا يرتبط بالسماح أو عدم السماح للمرأة أن تمارس النشاطات الاجتماعية. تقسيم العمل يقوم على أساس الإمكانات والرغبات

ومقتضيات العمل. تستطيع المرأة أن تمارس النشاطات الاجتماعية المختلفة متى ما كانت لها الرغبة في ذلك.

أن نقول باسم الإسلام إن المرأة لا يحق لها أن تمارس النشاط الاقتصادي والاجتماعي فهذا خطأ. ليس هذا من الإسلام في شيء، ولكن من جانب آخر أن نجبر المرأة على ممارسة الأعمال الثقيلة والنشاطات الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية الصعبة، فهذا مما لا يوصي به الإسلام. ما يقوله بعض الرجال: إن المرأة يجب أن تعمل وأن يكون لها عائد حتمًا ليس بصحيح، وإن لم يكن متعارضًا مع الشريعة. غير أن الإسلام لا يوصي بذلك. الرؤية الإسلامية معتدلة. أي إن المرأة لو كانت لها الفرصة الكافية، ولم يمنعها مانع من تربية الأطفال، وكانت لها الرغبة في العمل وفي ممارسة النشاط الاجتماعي والسياسي أو الاقتصادي، فلا مانع من ذلك. أما لو أريد إرغامها على أن تمتهن مهنة، وأن تعمل لتساهم في نفقات الأسرة فلا، الإسلام لم يطلب من المرأة ذلك، هذا يعتبر نوعًا من الإجحاف بحقّ المرأة.

الإسلام لا يجيز إجبار المرأة على ممارسة النشاطات العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما أنه لا يجيز سدّ الطريق أمامها للدخول في ساحة هذه النشاطات. لو أرادت المرأة أن تمارس النشاطات الاجتماعية والسياسية فلا مانع من ذلك، طبعًا النشاطات العلمية راجحة على سائر النشاطات.

بمناسبة إعلان هذا العام عام العمل المضاعف والهمّة المضاعفة

ربيع الحياة وحياة الربيع

محمد علي التسخيري *

بداية نذكر أن الربيع حلّ هذا العام في مطلع الربيع الثاني، بعد أن احتفلنا في الربيع الأول بربيع المولد النبوي الشريف وأسبوع الوحدة الإسلامية (١٢ -١٧ ربيع الأول). مولده عليه أفضل الصلاة والسلام بداية حياة جديدة للبشرية إذ دعوته هي دعوة ربّ العالمين وهي دعوة الإحياء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

وأسبوع الوحدة الذي أعلنه الإمام الراحل(رض) يصبّ في هدف الإحياء، لأن وحدة الجسد الإسلامي علامة حياة «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» بعكس الجسد الميت الذي لا يهبّ لمواساة بقية أعضاء الجسد ولا يؤلمه جرح: «ما لجرح بميّت إيلام».

---

* ـ الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

فشهر الربيع إذن هو ربيع الإحياء، حتى ولو كان في غير فصل الربيع، فما بالك وهو يحلّ علينا هذا العام في مطلع فصل الربيع.

وفصل الربيع هو حياة الأرض والنبات والحيوان والإنسان، كل الموجودات تنهض بطبيعتها لتتحرك وتتكامل، والإنسان يستطيع، وهو المخيّر، أن يواكب الكون في حركته، شرط أن «يرى». والرؤية هذه من أسمى ما يتحلّى به الإنسان: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾. ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾.

نعم، هذه الأرض تهتزّ وتربو في الربيع، وتتصدى للإخصاب والإنماء:

تبرجت بعد حياء وخفر تبرج الانثى تصدّت للذكر

وما أجمل تعليق الشهيد سيد قطب على هذا البيت إذ ينظر إليه بعين المشاركة الشعورية مع ابن الرومي ويقول:

«يبدو هذا القول خيالاً شاعريًا يخالف الحقيقة العلمية فالأرض مادة جامدة والأنثى حيّة متحركة.

ولكن الحقيقة الأعمق، أن الأرض في الربيع بكل ما فيها من الحياة والإحياء تستعد للإخصاب في جميع عوالمها: عوالم النبات والحيوان والإنسان. وتتهيأ بكل ما فيها من رصيد لهذا الإخصاب، وتتبرج روحها لتلقيه، وتتفتح من الأعماق» (النقد الأدبي، اصوله ومناهجه، ص ١٣).

هذا الاحتفال الكوني بالحياة الجديدة تشارك فيه الشعوب باحتفالات ذات مسميات مختلفة: عيد الشجرة.. عيد الأم.. عيد النوروز (عيدا ليوم الجديد).. وكل من الشجرة والأم واليوم الجديد يجمعها جامع واحد هو الإنماء والتجديد والإخصاب والتكامل.

والنوروز أو النيروز دخل في ثقافة منظومتنا الإسلامية لانسجامه مع الإحياء الذي دعا إليه الإسلام، ومع التجديد المستمر الذي هو من طبيعة الثقافة الإسلامية. ودواوين الأدب العربي حافلة بذكر النيروز. والإسلام تعامل مع هذه الاحتفالات تعاملاً إنسانيًا كتعامله مع سائر المناسبات القومية والوطنية بعد أن يهذّبها ويؤدبّها بتعاليمه وآدابه، وهذا من أسرار نجاح الدعوة الإسلامية بين شعوب العالم المختلفة.

وفي أول أيام فصل الربيع (٢١ مارس) تبدأ السنة الشمسية الهجرية الجديدة.. وهذه السنة هي سنة ١٣٨٩ وهذا هو عدد السنين التي مرّت على هجرة رسول الله(ص) ولكن بالتاريخ الشمسي لا القمري، أي بحساب دوران الأرض حول الشمس.

وقد اتخذت إيران هذا الحساب في تقويمها لأنه يجمع بين الطابع الديني (هجرة الرسول) والطابع الكوني المنضبط الدقيق وهو حركة الأرض حول الشمس.

فهو إذن تاريخ هجري لا فارسي كما يردّد البعض.. وهو تاريخ شمسي منضبط في الحساب، وجدير بالذكر أن التاريخ الميلادي أيضًا شمسي، ولذلك لجأت إليه البلدان الإسلامية لضبط

تقويمها. وحبّذا لو كان هناك تفكير إسلامي عام بالجمع بين الأصالة الإسلامية والتقويم المنضبط في الحساب.

والوقفة الأهم في هذه السطور عند إعلان السيد القائد حفظه الله هذه السنة سنة: «عمل مضاعف وهمة مضاعفة». العمل والهمّة، مفردتان من مفردات الحركة الحضارية.

وتأتي أهمية العمل بعد الإيمان بالله ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فالإيمان لا يكتمل إذا لم يقترن بالعمل الصالح.. العمل الذي يصلح أمر الفرد وأمر المجتمع.. فالإنسان المسلم والمجتمع المسلم مكلف بعد الإيمان أن ينهض بما يصلح شؤون الأمة.. أي إن الإيمان لا قيمة له إذا لم يتحوّل إلى طاقة دفع وحركة على طريق الإصلاح المستمر. وبهذه الثقافة تحرّكت الأمة في القرون الأولى لتبني وتعمّر وتمارس عملية الاستخلاف في الأرض.. وهذه الثقافة بحاجة إلى إحياء كي تستعيد الأمة دورها على الساحة البشرية.

والهمّة.. كانت وراء كل ما حققته البشرية من إنجازات.. وكانت وراء تحرر الإنسان من الانشداد بتوافه الأمور.. وكانت وراء ما قاله أبو فراس معبّراً عن طموح الأمّة:

ونحن أناس لا توسّط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

هكذا القيادة الحضارية تدفع بالأمة نحو العمل ونحو الهمّة وتقول لأبناء الأمة ما قاله القرآن الكريم:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

منهج السيد الحكيم في التقريب (٢/٢)*

• التقريب هدف أساسي من أهداف مدرسة أهل البيت • تبنى الإمام علي(ع) مبدأ الحرية السياسية والتعددية السياسية في المجتمع الإسلامي • علماء النجف جاؤوا بحاكم من أهل السنّة من الحجاز ليحكم العراق • بُذلت جهود كبيرة في النجف لنشر ثقافة التقريب • النواصب حالة شاذة لم تدم طويلاً • على مرّ التاريخ تدخلت مصالح الحكم لإثارة النزاعات الطائفية • لو نجح نموذج التقريب في العراق فسيكون له أثر كبير على العالم الإسلامي كله • حاولوا بأساليب مختلفة أن يستثيروا أهل السنة في العراق والعالم الإسلامي ضد الشيعة • كان السيد الشهيد الصدر ينظر إلى تفرّق الأمة بقلب دام.

* - اعتمدنا في استخلاص هذه الأسس على مقابلة هامة أُجريت مع السيد الشهيد عام ١٤١٧هـ.

هـ ـ ارتباط التشيع بالتقريب

من المحاور التي أكد عليها السيد الشهيد الحكيم في خطابه التقريبي هو إبراز التوجه التقريبي في مدرسة أهل بيت رسول الله(ص). لقد أكد هذا في كتابه: *الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين* وفي ثنايا دراساته ومقابلاته المختلفة. وينهج في بيانه الأسلوب النظري، وبيان المواقف العملية.

أحسب أن السيد الحكيم كان يريد من هذا التركيز على التقريب في مدرسة آل البيت أمرين:

الاول ـ أن يقول للشيعي أنّ التقريب هدف أساسي من أهداف مدرسة أهل البيت، فإذا كنتَ من أتباع مدرسة أهل البيت حقيقة فعليك أن تكون من دعاة التقريب المذهبي، وهو بذلك يردّ على أولئك الذين يتخذون مواقف معادية من التقريب تحت لافتة الولاء لأهل بيت رسول الله(ص) . ويعملون على إثارة الفرقة والحزازات بين المسلمين تحت عنوان التولّي والتبرّي.

والثاني ـ أن يقول للسنّي أن دعوة التقريب في مدرسة أهل البيت هي دعوة مبدئية قائمة على أساس وجوب حفظ وحدة المسلمين، لأن حفظ وحدة المسلمين مقدمة واجبة لحفظ عزّتهم وكرامتهم ووجودهم . والتقية ـ لو فُهمت فهمًا صحيحًا ـ ليست سوى اتخاذ مايلزم لصيانة وحدة المسلمين واتقاء مايفرقهم، ولا تقتصر على مسائل حفظ النفس.

يقول السيد الحكيم:

«أنا أعتقد أن قضية التقريب في نظرية أهل البيت قضية أساسية ورئيسية. وواجب من الواجبات الشرعية. وأول من رفع شعار التقريب بين المسلمين هم أهل البيت. ولم يرفعوه شعارًا يتحدثون عنه فحسب، بل جسدوه أيضًا حالة عملية وحاجة تطبيقية، وقدموا على طريقه تضحيات كبيرة جدًا على المستوى الشخصي لهم وعلى مستوى الجماعة والفئة التابعة لهم والملتزمة بسلوكهم ومسيرتهم. ولقد تحدثت عن مواقفهم هذه في كتاب: *الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين*. وهناك مجموعة من المبادئ الرئيسية المعروفة لدى مذهب أهل البيت تجسّد هذه الحالة مثل مبدأ التقية. هذا المبدأ هو مبدأ تقريبي، ولو طالعنا نصوصه مطالعة واعية لوجدنا أنه لا يقتصر على الجانب الأمني بل يشمل أيضا البعد التقريبي، والبعد الوحدوي وهو بُعدٌ مهم غفل عنه كثير من الباحثين. وأشرت في كتابي المذكور إلى نصوص التقية التي تكرّس هذا البعد التقريبي الوحدوي. وثمة مبدأ آخر غفل عنه كثيرمن الباحثين هو مبدأ التعايش بين المسلمين. وقد نادى أهل البيت(ع) بهذا المبدأ وهو من خصائص مدرستهم. هناك تيارات الخوارج وتيارات الجهاز الحاكم وتيارات الانتهازيين وتيارات الثوريين المنتسبين لأهل البيت(ع) مثل الزيدية الذي تبناه بعد ذلك الحسنيون بعد زيد وأولاده. وتمتاز مدرسة أهل البيت بين كل هذه التيارات بدعوتها إلى مبدأ التعايش السلمي بين المسلمين. ونرى مصاديق هذا المبدأ في دعوة أهل البيت للاشتراك

في صلوات الجماعة وزيارة المرضى والاهتمام بالأمور الاجتماعية مثل تشييع الجنائز والوفاء بالعقود وغيرها من المسائل التي دعوا المسلمين جميعًا إليها، من أجل أن يؤكدوا مسألة التعايش.

وهذا مبدأ مهم لم يدرس بشكل كامل مع الأسف في أبحاثنا السياسية والاجتماعية.

لقد تبنّى أمير المؤمنين(ع) مبدأ الحرية السياسية ومبدأ التعددية السياسية في المجتمع الإسلامي، وهو تبنّ فريد يمتاز به عن بقية الحكام. وظل أهل البيت يتبنون هذا الرأي. وهي ظاهرة سياسية مهمة. فالإمام يعتقد أن الخوارج على خطأ، وأن الزبير وطلحة وأم المؤمنين عائشة على خطأ في موقفهم، لكنه لم يتخذ موقفًا قمعيًا لإسكاتهم، وإنما ترك لهم الحرية في أن يتحركوا. وكان يكتفي بإدانة مواقفهم. وبقوا يتحركون حتى رفعوا السلاح بوجه الإمام علي(ع). عندئذ لجأ إلى مايحافظ على وحدة المسلمين. وأئمة أهل البيت تبنوا أيضا مقولة:«لاستسلمنّ ماسلمت أمور المسلمين ولم يكن الجور إلا عليّ خاصة». وهي مقولة ذات دلائل وحدوية. وهذه هي مبادئ التشيع وأفكاره. وفي تاريخنا القديم والحديث صور كثيرة تعبّر عن الموقف العملي لهذه الحالة الوحدوية».

ويرى السيد الحكيم أن مدرسة أهل البيت كانت في مواقفها العملية على مرّ التأريخ تتخذ المواقف العملية المجسّدة لمبدأ التقريب، والعصر الحديث شهد استمرار هذه المواقف.

والواقع أن الحوزة العلمية في مدينة قم كان لها مواقف رائدة في هذا المجال في العصر الحديث، وخاصة في زمن زعامة آية الله البروجردي، فمواقفه النظرية والعملية ومنهجه الدراسي والعلمي كان يقوم على أساس تحرّي مسائل الخلاف، وإزالة ماعلق في الأذهان من أوهام، والتأكيد على الجانب العملي في التعاون بين المسلمين. أما النجف الأشرف فحاول بعضهم أن يراها متخلفة عن ركب التقريب ويرى أن خطابها المذهبي يغلب على خطابها الإسلامي، فيتصدّى السيد الحكيم لهذه الشبهة ويعدّد المواقف المعاصرة لحوزة النجف من القضايا الإسلامية مؤكدًا أنها كانت تضع القضايا الإسلامية الكبرى نصب عينيها في مواقفها، دون أن يغلب عليها الاتجاه المذهبي، ومما يذكره رضوان الله عليه في هذا المجال:

١- «الموقف من دخول الإنجليز إلى العراق، فالعراق هو البلد الوحيد الذي اجتمع فيه المسلمون جميعًا لمواجهة الغزو البريطاني. وقاد هذه المواجهة العلماء في العراق، فأصدر علماء النجف فتوى الجهاد ضد الإنجليز، ووقفوا إلى جانب الدولة العثمانية لصدّ هذا الغزو. على أن الدولة العثمانية كانت تتبنى مواقف مذهبية متشددة قمعية تجاه غير أتباع المذهب الحنفي، من أجل فرض هذا المذهب على كل المسلمين. بالرغم من ذلك وقف علماء النجف هذا الموقف الوحدوي».

٢- «وهكذا الأمر في ثورة العشرين، نجد أن الشعار المطروح

هـو إخـراج البريطـانيين مـن العـراق، دون الـتفكير في البـديل الحاكم، هل سيكون سنيًا أم شيعيًا. بل إن علماء النجف ذهبوا وجاءوا بحاكم سنّي من الحجاز. علماء النجف وشيعة العراق هم الذين قاتلوا، وهم الذين قدموا التضحيات، وكان همهم الأول الإسـلام، ولم يكـن لهم هـم طـائفي مـذهبي. ولـذلك اختـاروا حاكمًا سنيًا على شرط أن يحكم بالإسلام، وحينمًا نقض هذا الحاكم مبادئ الإسلام نهضوا بوجهه بدافع إسلامي أيضًا».

٣- «وفي الحرب العالمية الثانية كان للمرجعية موقف معروف في مساندتها للحركة الوطنية الرامية لتحرير العراق من الهيمنة البريطانية، فقد وقف السيد أبو الحسن الإصفهاني إلى جانب الثوار من أجل الإطاحة بالسلطة العميلة للبريطانيين».

٤- «وموقف علماء النجف من حركة الإلحاد في العراق معروفة، فقد وقفوا بوجه التيار الشيوعي واليساري الذي حاول أن يهيمن على مقدرات العراق. وعلماء النجف قدموا في سبيل ذلك تضحيات جسيمة، رغم أن الظروف السياسية كانت تفرض أن لا يقفوا هذا الموقف، بل يحصلوا على مكاسب في العهد الجمهوري بعد عهود من الاضطهاد الطائفي. فالعهد الجمهوري يمثل انفراجًا للوضع الطائفي في البلد. وأعطى فرصة للشيعة كي يكونوا في جهاز الحكم وفي الأوساط العسكرية والاقتصادية، لكن علماء النجف وقفوا ضد نظام عبد الكريم قاسم المساند لتيار الإلحاد، بل وقفوا ضد هذه الحالة من الانفراج، ليحققوا مكسب وحدة

المسلمين في مواجهة تيار الإلحاد الشيوعي».

٥- «وموقف علماء النجف من قضية أكراد العراق وهم من أهل السنة واضح، فقد أصدر العلماء فتوى تحريم سفك دماء الأكراد، وتحريم أي عدوان عليهم. بينما وقف علماء السلطة ضد الأكراد. علماء الشيعة وقفوا إلى جانب صيانة دم الأكراد وأعراضهم، بينما وقف علماء السلطة إلى جانب العمليات القمعية ضد الأكراد».

٦- «أضف إلى كل ماتقدم موقف علماء النجف من قضية فلسطين . فقد واصلوا هذا الموقف في كل مراحل القضية، وأفتوا بجواز إنفاق الأموال والحقوق الشرعية لمناصرة العمل الفدائي ضد الصهاينة. ولايزال هذا الموقف المبدئي من هذه القضية ومناصرتها قائمًا حتى اليوم».

٧- «ثم إن موقف علماء النجف من الاشتراكية المعلنة في العراق قد جسد مبدئيتهم في عدم الانجراف نحو الشرق ولا نحو الغرب. فقد وقفوا بوجه التيار الاشتراكي الذي أريد له أن يكون بديلا للتيار العلماني الديمقراطي. مؤكدين رساليتهم في هذا الموقف. ودخلوا في صراع كبير لم يدخله غيرهم».

٨- «ومسألة التقريب بين المذاهب، بذلت جهود كبيرة في النجف الأشرف لطرح ثقافة التقريب، ولتأليف الكتب الدراسية التقريبية، ولجعل مادة الفقه المقارن مادة دراسية في الحوزات العلمية. وهذا ماحدث في النجف لأول مرة، حيث أصبح كتاب:

الأصول العامة للفقه المقارن، للسيد محمد تقي الحكيم كتابًا دراسيًا في النجف وفي كلية أصول الدين ببغداد، هذه الكلية التي كانت برعاية المرجعية الدينية. ولقد شهد تاريخ الحوزة العلمية في النجف قديمًا وحديثًا تأليف مثل هذه الكتب الفقهية المقارنة مثل كتاب *تحرير المجلة* للمرحوم الإمام الشيخ كاشف الغطاء في أيام الحكم العثماني. ومن قبل ألّف الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه كتاب الخلاف، والعلامة الحلّي، وهو من علماء مدرسة النجف، ألّف كتاب التذكرة وكتاب المختلف وهكذا حتى عصرنا هذا، دأب العلماء في النجف على السير على هذه النهج التقريبي ونهج توحيد المسلمين».

٩- «وهناك نشاطات لدى علماء النجف من أجل إقامة علاقات مع علماء الأزهر الشريف، وخاصة شيوخ الأزهر، وكان من نتائج تلك النشاطات التقريبية أن أصدر المرحوم الشيخ شلتوت شيخ الأزهر فتواه المعروفة. طبعًا كان لسماحة آية الله العظمى السيد البروجردي(رحمه الله) في قم مسعى خاص في هذا المجال، ولكن التطورات السياسية في إيران والعراق أدت إلى أن تتواصل جهود التقريب مع الأزهر عبر علماء العراق. ولا بأس أن تعرفوا أن فتوى الشيخ شلتوت صدرت في زمن عبد الناصر، وكانت علاقات عبد الناصر بنظام الحكم في إيران آنذاك متوترة . بينما كانت حوزة النجف تخوض آنذاك حربًا مريرة ضد الشيوعيين ممّا قرّب الحوزة العلمية في النجف من سائر علماء الإسلام

وخاصة علماء الأزهر. ولا بأس أن أذكر شاهدًا يمكن أن يعتبر مصداقًا لهذا التقارب الذي حدث آنئذ. حين اعترف نظام الشاه بإسرائيل، وفتح الكيان الصهيوني مكتبًا له في طهران أرسل شيخ الأزهر الشيخ شلتوت برقية إلى الإمام السيد الحكيم رضوان الله تعالى عليه، وأصدر الإمام الحكيم على أثر ذلك استنكارًا على ما أقدم عليه نظام الشاه».

١٠- «ومن اهتمامات مرجعية النجف في حقل التقريب، إرسال مصادر كتب الشيعة الهامة إلى المكتبات المركزية في مصر ولبنان وسوريا والسودان وغيرها من البلدان الإسلامية».

١١- «ومن اهتمامات علماء النجف في حقل التقريب حضور المؤتمرات العلمية التي عقدت في القاهرة ومراكش وتونس واللقاء فيها بعلماء المسلمين والمفكرين من جميع أرجاء العالم الإسلامي. وكان التمثيل على أعلى المستويات العلمية، حضر بعض هذه المؤتمرات المرحوم الشيخ المظفر، وحضر بعضها السيد محمد تقي الحكيم».

١٢- «وهناك بعدٌ آخر من هذه النشاطات التقريبية يتمثل في إقامة علاقات بين الكليات والمعاهد العلمية الدينية في النجف الأشرف وبغداد والكليات المماثلة في العالم الإسلامي، أهمها كليات الشريعة في القاهرة. وكان للسيد محمد تقي الحكيم والعلامة السيد مرتضى العسكري نشاط خاص ومساع جادة في مجال التقريب على هذا البعد».

و- تنفيذ المشاريع العملية في التقريب

لايكفي الإيمان بالتقريب على المستوى النظري، والسيد الحكيم إذ يبين إيمانه المبدئي بالتقريب يواجه سؤالاً عما فعله هو من مشاريع عملية في التقريب، يجيب هو على هذا السؤال ويعدّد نشاطاته التقريبية كما يلي:

١_ نشر ثقافة التقريب، فلا يمكن أن نقطع أية خطوة على طريق توحيد المسلمين دون أرضية ثقافية تحوّل قضية التقريب إلى ثقافة متبنّاة من قبل المسلمين بكافة مذاهبهم. وأعتقد أن أفضل إطار لنشر هذه الثقافة هو إطار أهل البيت(ع) بما كانت لهم من أفكار وآراء ونشاطات استهدفت توحيد صفوف المسلمين كما ألمحنا إليه سابقًا. ومن الواضح أن هذه النشاطات أثمرت عن عاطفة جيّاشة يحملها المسلمون في مختلف عصور التاريخ وحتى يومنا هذا تجاه هذا البيت الكريم. وليس هناك من لم يحمل هذه الحرمة وهذه العاطفة تجاه آل البيت من المسلمين سوى نفر قليل من النواصب عُرفوا ببغضهم لآل البيت، وهي حالة شاذّة، لم تدم طويلاً، فقد انقرض هؤلاء. جدير بالذكر أن أهل البيت عاشوا مجتمعًا مليئًا بالتناقضات الحادّة والصراعات التي تحولت أحيانًا إلى شكل مواجهة دموية كما حدث في واقعة كربلاء. ومع ذلك كان موقف آل البيت من هذا المجتمع موقف الدعوة إلى الوحدة والتآلف والتعايش والتعاون. مما جعل هذا البيت الكريم ينال كل هذه الحرمة بين المسلمين. حتى يزيد بن معاوية الذي ارتكب

هذه الجريمة الشنعاء، ماكان يجرؤ على الاستمرار بالتظاهر في عداء أهل البيت، بل أظهر بشكل وآخر ندمه على فعلته.

مما تقدّم نفهم أن أفضل طريق لجمع مودّة المسلمين على صعيد واحد هو تعريف أهل البيت للمسلمين بمضمونهم الفكري والثقافي والأخلاقي.

فإذا تمكنّا أن نعرض فكر أهل البيت وطريقتهم ومواقفهم وأخلاقهم في مختلف القضايا، فذلك أفضل طريق لتقريب المسلمين حول محور واحد. ولكن هذا لا يعني أن المسلمين جميعًا سيلتزمون بالضرورة بمدرسة آل البيت، بل يعني أنهم سيقفون جميعًا موقف الاحترام من المشروع المطروح. وعلى هذا الأساس قمت بعدة خطوات:

الأولى: تأليف كتب تعرض نظرية أهل البيت في المجالات الحساسة الهامة، من أجل نشر ثقافة التقريب كما ذكرت. من هذه الكتب: *الحكم الإسلامي بين النظرية والتطبيق*. فقد عرضت مضمون نظرية أهل البيت في الحكم على الصعيد النظري، ودرست التطبيق العملي الراهن لهذه النظرية في إطار الدولة الإسلامية القائمة في إيران. كما ألفت كتاب: *الوحدة الإسلامية من منظور الثقلين*. وهو على ما أعتقد من المؤلفات النادرة في موضوعه. وفيه حاولت أن أستخرج نظرية الإسلام في الوحدة مستنبطة من القرآن الكريم ومن السنة ومن أخبار أهل البيت».

٢ـ«الاهتمام بالقرآن الكريم على مستوى التفسير أو على مستوى الدراسات القرآنية، وهو اهتمام يصبّ في حقل التقريب، لأن القرآن الكريم موضع احترام واتفاق جميع المسلمين. وكلما ازداد الاهتمام بهذا المحور من قبل جميع المسلمين ازداد تقاربهم وتفاهمهم. ولا بأس أن أشير إلى أن مدارسنا وحوزاتنا العلمية، بسبب ظروف متعددة بعضها سياسية وبعضها اجتماعية وبعضها تنظيمية لم تولِ الدراسات القرآنية الاهتمام اللازم. ومع أن علماء الشيعة ألفوا قديمًا وحديثًا أسفارًا هامة في التفسير، أذكر منها في عصرنا الحديث *تفسير الميزان*. لكن الاهتمام بالدراسات القرآنية ضمن مناهج الدراسة في الحوزة العلمية ضعيف. لذلك بذلت جهودًا خاصة في حقل القرآن في النجف الاشرف ومدرستها العلمية. فقد دونت دروسًا في علوم القرآن وألقيت فيها محاضرات في المعاهد العلمية التي أسست لتنظيم دراسات الحوزة العلمية في النجف. وواصلت هذا العمل العلمي في إيران بعد الهجرة التي حدثت بسبب الظروف السياسية».

٣- «مساهمتي في المؤتمرات، فقد اشتركت في مؤتمرات عقدت لقضية فلسطين، ومؤتمرات الوحدة الإسلامية التي عقدت لدراسة مسائل التقريب، كما حضرت عددًا من المؤتمرات التي عقدت في أرجاء العالم الإسلامي».

٤- «عملي في مواسم الحج، حيث أن الامام الحكيم أول من بادر لتأسيس بعثة حج دينية في موسم الحج في مكة المكرمة

والمدينة المنورة، وكنت مسؤول هذه البعثة لمدة تسع سنوات، وكانت البعثة تعمل في أوساط أتباع أهل البيت وأوساط عامة المسلمين».

٥- «المساهمة الجادّة في تأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية وفي كل نشاطات هذا المجمع، وتقديم أطروحات علمية أعتقد أنها - لو نفذت - سوف تساهم مساهمة كبيرة في موضوع التقريب منها:

- أطروحة الروايات المشتركة بين السنة والشيعة، المروية عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. فهناك كمية كبيرة جدًا من هذه الروايات ذات مضامين رائعة هامة مشتركة بين الفريقين. وإصدار مؤلفات تضم هذه الروايات المشتركة سيجعل المسلمين أمام واقع لم يعرفوه، وهم أنهم قريبون جدًا من بعضهم دون أن يعرفوا ذلك.

- وهكذا التأليف حول الرواة المشتركين، إذ هناك عدد كبير من الرواة المشتركين يعتمد عليهم أهل السنة والشيعة، والكشف عن هذه الحقيقة يساهم مساهمة جادّة في التقريب لأنه يوضح للمسلمين بأنهم كانوا في السابق على وضع أفضل مما عليه في الوقت الراهن.

- وكذلك التوجه لتحقيق الأصول المعتمدة عند أهل السنة والشيعة معا تحقيقًا تقريبيًا. كأن يطبع كتاب *صحيح البخاري* وهو من صحاح أهل السنة بطريقة تقريبية، وذلك أن توضع في

هامش الكتاب الروايات الواردة من طرق أهل البيت المتفقة مع روايات البخاري، أو تضاف إلى روايات البخاري تعليقات وشروح تقرب الرؤى تجاه هذه النصوص. وقد بدأ العمل بالفعل في تنفيذ هذه الأطروحات.

- على المستوى الفقهي كتاب ابن رشد مثلا وهو: *بداية المجتهد* من الكتب المعروفة لدى إخواننا أهل السنة: ويقوم المجمع الآن بتحقيق هذا الكتاب ووضع الفقه الشيعي استدلالاً إلى جانب مايعرضه ابن رشد».

٦- «المساهمة في تأسيس جامعة المذاهب الإسلاميّة على مستوى وضع المناهج وبيان الهيكلية وأمور التنفيذ».

٧- «مجلة رسالة التقريب أعطيت من وقتي لمتابعة إصدارها والاشراف على موضوعاتها. وهي مجلة رائدة في مجال التقريب آمل أن تتطور أكثر على طريق أداء رسالتها في المستقبل».

«هذا إلى جانب خطوات ومشاريع أخرى يطول الحديث عنها. ولابد من التأكيد على أن ماقمت به حتى الآن هو قليل بحق هذا الهدف الكبير والمشروع الكبير، ونسأل الله التوفيق لأداء المزيد من الأعمال الصالحة في هذا المجال».

ز- التفريق بين الدائرة السياسية والدائرة الشعبية في قضية الخلاف بين السنة والشيعة

على مرّ التاريخ تدخلت مصالح الحكم لإثارة النزاعات

الطائفية. كثير من الحكام اضطهدوا السنّة باسم التشيّع، وأكثر منهم من اضطهد الشيعة باسم الدفاع عن أهل السنّة، والواقع أن مصالح الحكم هي التي أملت عليهم هذه المواقف. وهذه حقيقة يجب أن يفهمها أهل السنة والشيعة كي لا تستفزهم المواقف السياسية وتدفعهم لاتخاذ مواقف عدائية من هذا المذهب أو ذاك.

والسيد الحكيم إذ اكتوى بنار الطائفية التي أججها حكام العراق، يتخذ موقفًا صارمًا في التفريق بين الموقف السياسي والموقف الشعبي من هذه المسألة. يقول رضوان الله عليه:

«العراق كما هو واضح له تاريخه الخاص وتركيبته الاجتماعية والثقافية الخاصة، وهو بهذه الخصوصية يعتبر من البلاد الفريدة في العالم الإسلامي، وأخذًا بنظر الاعتبار هذه الخصائص فإن نموذج التقريب لو نجح في العراق فسيكون له تأثير كبير على كل العالم الإسلامي. نسب التقسيم المذهبي في هذا البلد تكاد تكون متقاربة، كما أنه ينطوي على التعددية القومية إضافة إلى التعددية المذهبية، أضف إلى ماسبق تاريخ العراق بما له من عراقة وماكانت له من مركزية في العالم الإسلامي، حيث كانت بغداد عاصمة المسلمين السياسية، كما كانت الكوفة والبصرة عاصمتي المسلمين الفكرية، ومدرسة الكوفة بشكل خاص وتطورها إلى مدرسة النجف لها أهميتها الفائقة في تاريخ هذا البلد، ووجود مراقد أئمة آل البيت في

العراق.. كل ذلك وقضايا أخرى تعطي لأرض الرافدين أهمية خاصة. ومن هنا كان العراق مستهدفًا أكثر من غيره في التآمر الاستعماري والهجوم الاستكباري. وعملية التفريق والتمزيق في العراق أريد منها تصوير حالة التمزق في جميع الأمة. والانجليز كرسوا اهتمامهم في العراق بعد هيمنتهم عليه لإيجاد التفرقة المذهبية والطائفية بين أبناء الشعب العراقي، تمامًا كما فعلوا في شبه القارة الهندية، حيث أسفرت خططهم بين المذاهب والطوائف، بل حتى بين أبناء الطائفة الواحدة في شبه القارة الهندية إلى تمزّق فظيع. ولا تزال هذه الحالة قائمة حتى الآن، ويسقط جرّاؤها بين آونة وأخرى القتلى والضحايا باستمرار. نفس الشيء حاولوا تطبيقه في العراق. لكن علماء الإسلام في العراق، وخاصة علماء النجف وقفوا ضد هذا المخطط وأفشلوه على المستوى الشعبي.

ويمكن القول الآن أن العلاقات بين فصائل الأمة في العراق علاقات مودّة وأخوّة، حتى لم يعد الإنسان يشعر بوجود اختلافات طائفية بين أبناء الشعب. الشيعة يتزوجون من بنات أهل السنة. بل قد تجد أبناء عشيرة واحدة نصفها من أهل السنة ونصفها آخر ينتمي إلى مذهب أهل البيت. والمدن فيها اختلاط بين أبناء المذاهب. وكثير من المؤسسات الثقافية والمشاريع التجارية يشترك فيها أهل السنة وأهل الشيعة. وهكذا في مختلف المجالات نجد هذا الاشتراك موجودًا، وهذا التداخل قائمًا. ولايكاد الإنسان

يشعر بوجود اختلاف.

أما على مستوى الحكومة فالأمر مختلف تمامًا مع الأسف. فالسياسات الحاكمة تقوم على أساس التفرقة المذهبية والطائفية. وتتطرف هذه السياسات أحيانًا إلى حدّ رفع شعار: لا شيعة بعد اليوم!! كما فعل النظام الحاكم الحالي[1] في العراق. فقد حاول هذا النظام أن يقضي على كلّ معالم أهل البيت في العراق. فَقَتَلَ العلماء وألغى المؤسسات ومنع طباعة الكتب ونشرها. وأصدر قائمة في الكتب المحظورة تزيد على الألف كتابٍ، بينها كتب يعود تأليفها إلى أحد عشر قرنًا خلت مثل مؤلفات الشيخ الطوسي ومؤلفات الشيخ الصدوق. وتدخّل النظام في تفاصيل حياة الناس لإحداث الفجوة بين أبناء الشعب، وليثبت وجوده من خلال عملية التمزيق.

لقد حاولوا أن يستثيروا أبناء السنة في العراق، بل أبناء السنة في العالم الإسلامي ضدّ شيعة العراق بأساليب مختلفة، من أجل أن يعطوا الصراع فيه طابعًا مذهبيًا طائفيًا وكأنه صراع بين أهل السنة والشيعة. بعد أن فشل النظام في سياسته العلمانية الموجهة لكل علماء الإسلام ولكل التراث الإسلامي، حاول أن يعطي لحربه الظالمة ضد الإسلام والصحوة الإسلامية والتراث الإسلامي طابعًا مذهبيًا.

---

١ - حديث السيد الحكيم هذا كان قبل سقوط نظام الطاغية.

لقد بذلنا جهودًا كبيرة من أجل فضح هذا المخطط، وأسفر ـ والحمد لله ـ عن انفضاح النظام. وأصبح الموقف الشعبي داخل العراق موحّدًا من النظام، فقد تبيّن أنه ليس سنيًا، بل ولا هو عراقي أصلاً. اتضح أنه يعادي الجميع ويبطش بالجميع لا يفرّق بين سنيّ وشيعي، بل إنه مستعد أن يبطش بأعضاء الحزب، وأن الحاكم الطاغي يبطش حتى بأولاده وأصهاره وأقرب الناس إليه من أجل أن يبقى على الحكم، وجهودنا في هذا المجال امتدت إلى العالم الإسلامي لتوضيح هذه الحقائق. لقد احترقت ورقته الطائفية بعد أن حاول أن يلعب بها زمنًا، كما حاول أن يلعب بالورقة القومية في حربه ضد الجمهورية الإسلامية بأن يعطي الحرب حالة صراع بين العرب والفرس. لقد انكشفت كل الأوراق والحمد لله رب العالمين، وأصبحت طبيعة النظام واضحة في الداخل والخارج، ولانزال نبذل الجهود في هذا المجال»(المقابلة/ ٥٤ – ٥٦).

مما تقدم نفهم أن السيد الشهيد الحكيم توفّرت له في النجف وإيران أجواء الارتفاع بفكره وهمومه ومشاريعه إلى مستوى رسالي إسلامي. ومن هنا نظر إلى التشيّع باعتباره مدرسة رسالية إسلامية لا طائفة مقابل طائفة أخرى.

كان السيد الشهيد ينظر إلى تفرّق الأمة بقلب دامٍ، ومن هنا كان جادًّا في مسألة التقريب وصادقًا فيه ومخلصًا في طروحاته وآرائه ومشاريعه. أدى به التفكير الطويل في هذه المسألة إلى أن

يحيط بها من كل جوانبها النفسية والعلمية والأخلاقية، وعلى الرغم من كلّ مسؤولياته السياسية والجهادية خصّص جزءًا كبيرًا من وقته لقضية التقريب، لأنه رأى فيها قضية الأمة الكبرى وقضية عِراقِهِ الجريح.

وهنا لابدّ أن أشير إلى مايواجه وحدة الأمة من تحديات تستهدف تمزيقها طائفيًا، ولابدّ من اتخاذ موقف حكيم من ذلك. وكان موقف الحكيم حكيمًا حقًا، فهو انتهج أسلوبًا نأى عن الإثارات التاريخية، ووجّه جلّ اهتمامه إلى معالجة الواقع واستشراف المستقبل ومخاطبة العقل والعاطفة، والتأكيد على الهمّ الإسلامي والمشروع الإسلامي. انتهج أسلوب ما أسماه إشاعة ثقافة التقريب، وهذا هو المنهج الذي نحتاج إليه في التقريب.

«أيها الشعب العظيم، إني أخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهادية، بكل فئاتك وطوائفك، بعربك وأكرادك، بسنتك وشيعتك، لأن المحنة لا تخص مذهبًا دون آخر».

«وإني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء، ومن أجل العربي والكردي على السواء حين دافعت عن الرسالة التي توحّدهم جميعًا، وعن العقيدة التي تضمّهم جميعًا».

من كلمة الشهيد الصدر إلى الشعب العراقي

الشيخ حبيب آل ابراهيم
رجل الحضارة والتقريب

محمد حسين فضل الله

• كثير مما يدرسه الناس في الحوزات وغير الحوزات يُتعب الرسالة ولا يغنيها • أي شعب يعيش الضغط والاضطهاد يفقد أكثر من فرصة للتطور والإبداع • بمقدار ما تكون عالمًا أكثر بمقدار ما ترتبط بأمتك أكثر • المعرفة الإسلامية تساوي الوعي السياسي الحركي • إن اختلفنا في التفاصيل فعلينا أن نقرأ القرآن قراءة جيدة • كان الشيخ حبيب يعيش الوعي السياسي لكل القضايا الكبيرة والصغيرة.

كان (الشيخ حبيب آل إبراهيم) الشخصية التي تعيش قلق الرسالة، فهو في قلق دائم وهو يطلب العلم، كيف يمكن له أن يختار من مفردات العلم ما يمكن أن يغني الرسالة، لأن الكثير مما يدرسه الناس في الحوزات، وفي غير الحوزات، يتعب الرسالة ولا يغنيها، لأنه يحلّق بك في التجريد، ويشغلك عن الواقع، لذلك أن تطلب العلم وأنت تعيش رساليتك، هو أن تعيش قلق البحث عن كل مفردة يمكن لها أن تغني حركتك الرسالية، أن يكون

علمك الذي تتعلمه الآن إضاءة لعقل وحلاً لمشكلة، من أجل أن تفتح فيهما الكثير من الآفاق، وأن تعيش قلق المعرفة.

كان إحساسه بالتحديات ينطلق من خلفيات شبابه الطفولي، أو طفولته الشبابية، وكان يعيش المشكلة هناك في جبل عامل، ويدرك الجهل الذي فرض على تلك المنطقة، والتخلف الذي كان يتحرك في بعض زواياها، والظلم الذي كان يطبق عليها، والإهمال الذي يحل بها، أدرك أن كل ذلك يحتاج إلى حركة فيها من المعرفة ما يبعد التخلف، وما يؤكد للعدل موقفه، ويطرد الظلم، لأن أي شعب يعيش الضغط والاضطهاد يفقد أكثر من فرصة للتقدم والإبداع.

كان يعيش قلق المعرفة في خلفيات طفولته، ليبحث من خلال هذا الوعي في مستقبل شبابه وشيخوخته عما يمكن أن يحقق المعرفة التي لا تنطلق في التجريد، ولكنها تتحرك في الواقع لتكون تجربة تغني الفكر وتغني الواقع، ولينطلق ويطلق الفكرة التي تقول: إنك بمقدار ما تكون عالمًا أكثر بمقدار ما ترتبط بقضايا أمتك أكثر، وأنك بمقدار ما تكون مثقفًا أكثر لابد لك وأنت تحرك الثقافة في خط الإسلام أن تحرك الإسلام ليسوس الناس، إسلام ـ العدل ـ الإصلاح ـ الحرية ـ السلام ـ الحركة الإنسانية التي ترتفع بالإنسان. ولذلك فإن مسألة المعرفة الإسلامية تساوي الوعي السياسي الحركي الذي لا يتعامل مع السياسة في وحولها ومغاورها وكهوفها، ولكنه يتعامل معها في

آفاقها وفي كل مواقع النور فيها، ولذلك كان يقرأ الكثير فكان يتجاوز درسه إلى الكثير مما يشعر بالحاجة إليه مما لا تقدمه الحوزة لطلابها.

وهكذا اغتنى أدبًا في النثر بحسب أساليب النثر الأدبي آنذاك، وأدبًا في الشعر بحسب أساليب الشعر آنذاك، وتاريخًا، وثقافة اجتماعية، وفهمًا للناس، ومقارنة للأديان، ومقارنة للمذاهب، ولهذا كانت حركته نحو المعرفة تمثل لونًا من ألوان وعيه لحاجات أمته. وهذا هو ما تحتاجه كل أمة ويحتاجه كل شعب في مسألة المعرفة، وأن لا تكون المعرفة غيبوبة في التجريد ليتحدث الناس دائمًا عن جنس الملائكة، وعن مسألة أصل البيضة، وأصل الدجاجة. أن تكون المعرفة للحياة للإنسان لتفعيل الإنسان، وهكذا رأينا معرفته تتمثل في حركته في مقتبل عمره وفي نشاطه...

وعندما انطلق بعد ذلك وعاش في العراق مسألة السنة والشيعة، وعاش في لبنان هذه المسألة كان يفكر بنفس الطريقة، وكان يقترب من الأسلوب أكثر، لأن القصة أن الله إذا قال لرسوله: ﴿ يَا أهل الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إلى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، فقد قال رسوله(ص) مستوحيًا من الله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى». تلك هي المسألة، ولهذا كان كتابه صورة لفكره: *الحقائق في الجوامع والفوارق*.

أيها المسلمون: لا يقل أحدكم للآخر أنا شيء وأنت شيء آخر، كما نجد البعض يدخل في التفاصيل، يبحث عن خلاف في تفاصيل صفة الله هنا، عن خلاف في تفاصيل صفة النبوة هناك، وعن خلاف في تفاصيل اليوم الآخر، وعن خلاف في تفاصيل جوانب القرآن، ليقف ويخطب: ربنا غير ربهم ونبينا غير نبيهم وقرآننا غير قرآنهم وآخرتنا غير آخرتهم، وأن يحدق في التفاصيل ليحول التفاصيل إلى شيء يعني أنك لا تلتقي بالآخرين. كان الشيخ يركز على الحقائق في الجوامع، هذه الجوامع التي يجتمع عليها المسلمون في عقائدهم في الخطوط العامة، وفي شريعتهم في الخطوط العامة، وفي قرآنهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي اليوم الآخر وفي كل العقائد والمفاهيم.

وتبقى التفاصيل، ونحن لا نريد أن نهوّن من شأن التفاصيل ومن حيوية التفاصيل، ولكن مسألة الاختلاف بالتفاصيل مع الاتفاق بالمبدأ. يعني أننا نؤمن بالله، ونؤمن بكتابه، ونؤمن برسول الله وبسنته، عند ذلك نفهم جيدًا قوله تعالى: ﴿ فإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾، لأننا نعرف أن الله إلهنا وكتابه هو الحقيقة، وأن الرسول نبينا، وأن سنته هي الحقيقة، ولذلك علينا إذا اختلفنا في بعض مفردات الحقيقة وبعض تفاصيل الحقيقة أن نقرأ القرآن جيدًا قراءة مشتركة، وأن نقرأ السنة جيدًا قراءة مشتركة، لا أن تجلس وحدك فتقرأ على طريقتك، لتخضع القرآن لذهنك، أو يقرأ ذاك على طريقته

ليخضع القرآن لذهنه، أن نشترك في القراءة ونشترك في فهم قواعد القراءة وفي فهم أساليب القراءة. إن الفوارق لا تلغي الجوامع بل لا بد لنا أن نستعين بالجوامع من أجل أن نردم الهوة بين الفوارق، ويبقى العقل هو الذي يتحرك، وتبقى المسؤولية هي التي تتحرك...

ثم وأنت تقرأ مذكراته، وله مذكرات يؤرخ فيها لنفسه منذ أن انطلق إلى العراق وعاد إلى لبنان، وكانت تلك المرحلة من المراحل الصعبة، كانت مرحلة الحرب العالمية الأولى، ثم مرحلة الحرب العالمية الثانية، كانت المجاعة وكانت الفوضى التي عاشتها المنطقة من خلال ما كانت تضج فيه من الصراع بين الغرب وبين الخلافة العثمانية، كذلك كانت المنطقة تضج من خلال الصراعات الصغيرة بين دولة غربية هنا ودولة غربية هناك، وكان هناك ضجيج يحاول أن يشغل الناس عن الخلفيات الأساسية في حركة المستعمرين، فيخيل إليهم أنهم جاؤوا محررين لهم، وأنهم جاؤوا من أجل حل مشاكلهم، إنه يؤرخ لذلك كله، وتجد عاطفته الإسلامية وهو يتحدث عن الصراع الذي يعيش من أجل إسقاط الخلافة العثمانية في الوقت الذي يسجل في مذكراته كل المظالم التي كانت تحدث من خلال ولاة العثمانيين، وكان يتحدث عن جمال باشا السفاح وكان يتحدث عن الإعدامات وكان يتحدث عن كل الواقع الذي كان يعيشه هناك.

ثم عندما تحدث عن بريطانيا، وتحدث عن حركة الشريف حسين، وعن خلفياتها وعن خديعة البريطانيين له، وعن السذاجة العربية آنذاك في فهم مسألة السياسية البريطانية، تحدث عن ذلك كله وتحدث أيضًا عن عاطفته وعاطفة الناس في هذه المنطقة، عندما جاء الملك فيصل الأول إلى سورية، وكيف انطلق ليعطيهم أحلامًا كبيرة، إنه جاء من أجل أن يعيد للناس كرامتهم وحريتهم وهم لا يعرفون أنه كان لا يملك من الأمر شيئًا في ذلك كله. قد يكون مخلصًا في ذلك ولكن هناك مساحة بين الإخلاص فيما تريد وبين حركة الواقع فيما تعيش.

إننا عندما نقرأ الشيخ حبيب آل إبراهيم في مذكراته التي تنطلق على أساس المفردات السياسية التي كانت تعيش في زمنه، نجد أنه كان إنسانًا يعيش الوعي السياسي لكل القضايا الكبيرة والصغيرة التي تتحرك في زمنه، وكان يعيش المسألة الاجتماعية بنفس القوة التي كان يعيش فيها المسألة السياسية.

وأريد أن أقولها لكم يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر: إن المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني، إن الحكم السني الذي مثّله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل عليٌّ السيف للدفاع عنه إذ حارب جنديًا في حروب الردّة تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر، وكلّنا نحارب عن راية الإسلام، وتحت راية الإسلام مهما كان لونها المذهبي.

كلمة الإمام الشهيد الصدر إلى الشعب العراقي

العلامة محمد جواد مغنية

معاصرة وصراحة

•إن العالم مهما بلغت مكانته من العلم لا يصلح للقيادة إذا تجاهل طبيعة الحياة في عصره • دعوت في مقالاتي إلى إعادة النظر في بعض المسائل الفقهية على أساس المصلحة العامة والعمل بروح النص لا بظاهره والهدف في التشريع • موقفي يحتم عليّ أن أكون صريحاً لا أخادع ولا أصانع • بقاء اسرائيل رهن بتشتتنا وتفريقنا • بلي الإسلام بما بليت به سائر الأديان عبر العصور من الانتهازيين والمنحرفين • نحن مع كل حركة وطنية يتحرر فيها الإنسان من الجهل والفقر والاستغلال • الشيخ مغنية يحتل المرتبة الأولى بين علماء الشيعة ممن كتبوا في التقريب.

كان التوجّه الأول للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية تقديم الإسلام بلُغة العصر، وهذا ما دفعه إلى مطالعات واسعة في الكُتب والمجلات، والكتابةِ في موضوعات فقهية واجتماعية عصرية، وتطلب منه ذلك عملاً وجهداً كبيرين وفي ذلك يقول:

«بعد عودتي إلى لبنان قرأت المئات من الكتب الحديثة في

مواضع شتّى، وطالعت العديد من المجلّات العلمية والأدبية والاجتماعية، وتابعت الكثير من أنباء ما يحدث في الشرق والغرب من ثورات وأحداث ومؤامرات وأحلاف، أمّا التقدّم العلمي المذهل ومنجزاته وأخيرًا الاستخدام الهائل للفضاء ومخترعاته، فقد كنت وما زلت أبحث عنه وأقرأه بلهفة ودهشة.. وانتهيت من مجموع ما قرأت إلى أنّ العالم مهما بلغت مكانته من العلم ـ أيّ علم حتّى علم الدين والشريعة ـ لا يصلح للقيادة وتأدية رسالتها إذا وقف به علمه عند تخصّصه المهني المحدود، وجهل أو تجاهل طبيعة الحياة في العصر الذي يعيش فيه، وما يجري من أحداث، ويتحكّم بأهله من أوضاع وتحدّيات.

ومن أجل هذا كتبت مقالاً حول الأضاحي التي تُذبح في الحجّ، ثم تُطمر في الأرض، أو تترك للتعفّن، ونشر هذا المقال في مجلّة *رسالة الإسلام* لدار التقريب في القاهرة. وبتاريخ: كانون الثاني سنة ١٩٥٠م كتبت مقالاً بعنوان: «هل تعبّدنا الشارع بالهدي في حال يترك فيها للفساد؟». وفي سنة ١٩٥١م كتبت مقالاً بعنوان: «نحو فقه إسلامي في أسلوب جديد»، ونشر في مجلّة *النشرة القضائية* التي تصدرها وزارة العدل في لبنان، ودعوت في المقالين إلى إعادة النظر في بعض المسائل الفقهيّة على أساس المصلحة العامّة، والعمل بروح النصّ لا بظاهره، والهدف في التشريع، فقامت قيامة الشيوخ التقليديّين، وأثاروا العواصف!

ثمّ نشرت مقالاً بعنوان: «الفقر وليد النظام الجائر» قلت فيما

قلت: ليس الفقر من الله، ولا من صنع الطبيعة، وإنّما هو من صنع الإنسان والأوضاع الفاسدة. فعاتبني أحد الشيوخ وقال: «كيف تقول: الفقر من صنع الناس لا من صنع الله؟» قلت له: هذا قول رسول الله وأهل بيته(ع)، فقد روى عنهم جماعة من العلماء، منهم صاحب *الوسائل* في أوّل باب الزكاة: «إنّ الناس لو أدّوا زكاة أموالهم ما بقي فقير»، «وإنّما يؤتى الفقراء منْ منع مَنْ منعهم مِنَ الأغنياء».

في تشرين الأوّل من سنة ١٩٦٤م ابتدأت بتأليف *فقه الإمام جعفر الصادق(ع)* موسوعة كاملة من الألف إلى الياء عرضًا واستدلالاً، وانتهيت من تأليفها بحزيران من سنة ١٩٦٦م، وبلغت صفحاتها أكثر من ألفين في ستّة أجزاء، ثمّ جمعت في ثلاث مجلّدات.. وإذا قدّرنا سير الصفحات بالأيّام بلغت سرعة التأليف حوالي ثلاث صفحات في اليوم الواحد.

أمّا الفضل في هذه السرعة ـ إن صحّت التسمية ـ فيعود لمواصلة السير، لا لخفّة اليد، ولا لسهولة الطريق ـ كما يظنّ ـ فلقد كنت وما زلت أعمل بين الـ ١٤ والـ ١٨ ساعة في اليوم والليلة، وفي بعض الأحيان تسيطر الفكرة على جميع حواسّي، وتمنعها من النوم ٣٦ ساعة، وما زلت على ذكر أنّ هذا حدث لي، وأنا أكتب عن الفضولي وأحكامه الشرعيّة، وأحلّ طلاسم الشيخ الأنصاري في *مكاسبه* ومطالبه» (*تجارب محمد جواد مغنية*، بقلمه/ ١٣٦ – ١٤٠).

مواقف صريحة وجريئة

عاش الشيخ مغنية أحداث عصره، وتفاعل معها واتخذ منها موقفاً جريئًا وصريحاً، ودعا إلى التعاون والتعاضد للوقوف بوجه الاستعمار وإسرائيل، وأدان التخاذُل والانهزام والتخلّف والمتاجرين باسم الدين وفي ذلك يقول:

«أستشعر ـ وأنا هنا في هذا البلد الذي يقع بين أنياب الأفعى ويجمع التيّارات المتناقضة المتضاربة ـ أنّ موقفي هذا يحتّم عليّ أن أكون صريحاً وجريئًا في مواجهة الحقائق، لا أخادع، ولا أصانع، ولا أترك كلمةً تُرضي الخالق مخافة أن تُسخط المخلوق: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة البقرة/٢: ١٤٥).

وأعوذ بك اللّهمّ من متابعة الهوى، ومخالفة الهدى، وإيثار الغشّ على النصيحة، والباطل على الحقّ، وأجعلني اللهمّ مؤمنًا قولاً وعملاً بشعار نبيّك ونجيّك الذي خاطبك بقوله: «إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي».

وبعد، فإنّ من فضول القول ونافلته أن نعلن بأنّ أحوج ما نحتاج إليه اليوم هو التعاون والتعاضد، والوقوف صفًّا واحدًا في وجه العدوّ المشترك: الاستعمار وربيبته إسرائيل، هذه الشوكة الدامية هي وحدها السبب الأوّل لإثارة الفتن والقلاقل في كلّ بلد عربي، فما عرف العرب الهدوء والاستقرار منذ أن غرس الاستعمار هذه الشوكة في قلوبنا، ومحال أن يرضي الاستعمار لنا الهدوء

والاستقرار مادام على أرضنا شيء اسمه إسرائيل.

إنّ الاستعمار ليعلم حقّ العلم أنّ بقاء إسرائيل رهن بتشتيتنا وتفتيتنا، فعمل لذلك بكلّ سبيل، فهل يجوز ـ بعد هذا ـ أن نتصارع ونتنازع؟!

هل يجوز ـ بعد هذا ـ أن يكيل بعضنا لبعض التهم جزافاً وبغير حساب؟!

المؤمن المتديّن رجعي وعميل عند فئة، والناقم على الأوضاع الفاسدة فوضوي هدّام عند أخرى، والساكت المتجاهل انعزالي عند الطرفين! ولا يرضى عنك لا هؤلاء، ولا هؤلاء، حتّى تتّبع ملّتهم، وما أنت بتابعها، ولا هم بتابعيك، ولا بعضهم بتابع ملّة بعض...

ونصيحة لله أن لا تحاول إرضاء الناس؛ لأنّ إرضاء الناس كلّ الناس محال.. وكلّنا يعرف قصّة الشيخ العجوز، والشاب اليافع، والحمار.. إذن فاجعل شعارك قول الرسول الأعظم(ص): «إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي»، وقول الإمام أمير المؤمنين(ع): «صانع وجهًا واحدًا يكفيك الوجوه كلّها»...

إنّ الخائف حقًّا من تجمّعنا وتعاضدنا هو الاستعمار والصهيونيّة. أمّا نحن فلنا من عظمة ديننا، وقوّة شريعتنا، ومجد تأريخنا، وإخلاص المخلصين من علمائنا، ووعي الطيّبين من شبابنا، ما يعصمنا عن الشرك والإلحاد، وعن الفلسفات الماديّة والقوانين الرجعيّة.

لقد بلي الإسلام بما بليت به سائر الأديان عبر التاريخ والعصور من الانتهازيّين والمنحرفين الذين تاجروا باسم الدين، وابتعدوا بأهله عن غاياته وأهدافه، ولكن هؤلاء تمامًا كإسرائيل معروفون مفضوحون على رؤوس الأشهاد، لا قوّة لهم، ولا هيبة، ولا وجود إلاّ بحبل من الاستعمار والصهيونيّة، إنّهم فقاقيع يذهبون مع الريح من أوّل نسمة تهبّ لرياح التحرّر والوطنيّة: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾(الرعد/ ١٧).

نحن لا نخدع بالألفاظ، ولا يغرّنا التظاهر باسم الدين والإسلام.. نحن نعلم علم اليقين أنّ الصرخات الهستيريّة باسم الدين هي صرخات الذعر والخوف على المصير، وصيحات القلق والرعب من الثورات والتحركات تدكّ عروش الأدعياء، وتحطّم تيجان العملاء.

ونعلنها صريحة واضحة باسم محمد الذي نزع التيجان عن رؤوس الملوك والجبابرة، وألقاها تحت أقدام رعاة الإبل.. نعلنها صريحة واضحة: إنّنا مع كلّ حركة مخلصة تستهدف القضاء على الاستعمار والخطر الصهيوني والتسابق إلى التسلّح بأسلحة الفناء.

نحن مع كلّ حركة وطنيّة تعمل لإقامة حياة يتحرّر فيها الإنسان من الجهل والفقر والاستغلال، ويستقلّ فيها العقل والتفكير، ويشعر كلّ فرد بأنّه سيّد نفسه ومالك أمره، وأنّه في حصن حصين من حمى الله وصيانته، يرتبط حقّه بحقّ خالقه،

وحرمته بحرمة ربّه، إلاّ إذا هو انتهك حرمة ذاته بالتعدّي على حرمة غيره، وعندها يأتي سلطان الحقّ الذي يعلو على كلّ شي، ولا يعلو عليه شيء.

هذا هو الوجه الصحيح للإسلام، وهذا هو الطريق القويم إلى جنّة الخلد.. ثورة على التأخر والانحطاط، وكفاح من أجل التطوّر والتقدّم، وحرب على الجهل والاستبداد، لا عمّة ولحية، ولا دروشة ومسكنة، ولا تبعيّة وعمالة، ولا تحزّب وتعصّب، بل ولا احتفالات جامعة وخطب طنّانة، إلاّ أن تكون عواصف وقواصف تنزل على رؤوس الخائنين والمضلّلين!...

نحن وأنتم ـ أيّها الشباب ـ ضدّ المنحرفين عن الدين وأهدافه، الذين تاجروا باسمه وشعاره المقدّس.. ولكن عليكم ـ قبل أن تتّهموا أحدًا بالانحراف ـ أن تجرّبوا وتميّزوا بين من يصلّي على الميّت نهارًا ويسرق كفنه ليلاً، وبين من يستهين بالموت في سبيل الحقّ والعدالة.. عليكم أن تستروحوا وتستوحوا من سيرة محمد(ص) أنّ المخلص لدينه ووطنه هو الأمين العفيف عن المحرّمات والموبقات، والمكافح المعاند لأهل الضلال والفساد، والحليم الذي يتّسع صدره وقلبه للجميع، حتّى لخصومه وأعدائه»، (*تجارب محمد جواد مغنية* بقلمه/ ٤٦٨ – ٤٧٤).

مما تقدم يتضح لنا أن هذا الرجل اتسم بالصفات التالية:

١ – الهمة العالية التي لا تعرف الكلل ولا الملل

٢- الانفتاح الواسع على مجريات العصر علمًا وثقافةً وأدبًا

٣- الثورة على الجمود والتخلف والرجعية.

٤- سعيه الحثيث لتقديم المشروع الإسلامي في مجال التفسير والفقه بلغة العصر.

٥- اقتحامَهُ جميع المجالات التي توصِلُ صوتَهُ إلى الأسماع من صُحف ومجلات وإذاعة وجامعة.

وهذه معالم الإنسان المسلم المتحضر، ومن الطبيعي أن يكون مثل هذا الإنسان تقريبيًا ولذلك أرتفع صوته داعيًا إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، ولذلك أيضًا ارتبط بدار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة وكتب العديد من المقالات في مجلتها *رسالة الإسلام* وهو بذلك يحتل المرتبة الأولى بين علماء الشيعة الذين كتبوا في مجلة دار التقريب.

وتوجهه التقريبي نجدهُ أيضًا في تفسيره *الكاشف* وفي دراساته الفقهية على المذاهب الخمسة.

> لقد استطاع الشعب الإيراني المسلم أن يشكل القاعدة الكبرى لهذا النهض الجهادي والثبات المستمد على طريق هو لمة الأئمة والأئمة والمصلحين، والشعب الإيراني العظيم بحمله لهذا المنهل ومارسته صعوبة ليتوفى تجسيد هذه الفكرة وبناء الجمهورية الإسلامية يطرح نفسه لا كشعب يحاول بناء نفسه فحسب بل كقاعدة الإشعاع على العالم الإسلامي وعلى العالم كله.
>
> الإمام الشهيد محمدباقر الصدر

معوقات أمام الوحدة الإسلامية

فتحي يكن*

• تغيب عن الوعي والذاكرة حقيقة كبرى هي أن الوحدة الإسلامية والسعي إليها من الفروض الشرعية • وحدة المسلمين ضمانة لوقف ظاهرة التطرف الفقهي والفكري • بوش دعا إلى «الإسلام المعدّل» أي الإسلام الذي انتزعت منه كل معاني القوة والعزّة • قال كريستوفر: نحن نطمح أن يكون في العالم الإسلامي خمسة آلاف دولة وليس مئتا دولة فقط • علينا أن نحسن تشخيص المشكلة • لا بدّ من مشروع إسلامي مقاوم يجمع السنة والشيعة.

يؤلمني كما يؤسفني أن أقول: إن الكلام عن الوحدة الإسلامية غدا موسمًا ثقافيًا فولكلوريًا ليس له أي مفعول أو أثر يجسده حقيقة في واقع حياة المسلمين. وبذلك تفقد الوحدة والكلام عنها قيمتها القدسية وحقيقتها الربانية كآصرة علوية يجسدها ويؤكدها قول الله تعالى:﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

* - المفكر والداعية الإسلامي اللبناني.

ثم إن الكلام عن الوحدة يتنامى ويتكاثر في حالتين اثنتين:

الأولى: خلال موسم الوحدة.

والثانية: حيال مخاطر الانقسام والفتن الطائفية والمذهبية.

وتبعًا لكل ذلك تغيب عن الوعي والذاكرة حقيقة كبرى وهي أن الوحدة الإسلامية والسعي إليها من الفروض الشرعية.

وحدة المسلمين فريضة شرعية

إن مما لا شك فيه أن الأصل في الشريعة هو وحدة الأمة، ووحدة المسلمين على سنة الله ورسوله كائنًا ما كانت الخلافات الفقهية والاجتهادات المذهبية، طالما أنهم يغرفون من معين النبوة.. أو ليسوا هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فاعبدون﴾ .

أن تكون وحدة المسلمين فريضة شرعية، فهذا يعني وجوب العمل الحثيث على إقامتها بصرف النظر عن الظروف المحيطة والاستثنائية التي تكون هي الدافع في الغالب للمناداة بها والدعوة إليها كردة فعل ليس إلا، ثم سرعان ما تتلاشى وتغيب مع تغير الظروف!

الوجوب المصلحي :

ولدى الكلام عن الوجوب المصلحي في وحدة المسلمين، تطالعنا زحمة من الضرورات والمصالح التي تحققها الوحدة على كل صعيد..

• وحدة المسلمين ضرورة وطنية لبنانية، وخطوة محورية لوحدة اللبنانيين.

• وحدة المسلمين ضمانة لوقف ظاهرة التطرف، سواء كان فقهيًا أو فكريًا على غرار الأحكام والمواقف والفتاوى المتبادلة بين المسلمين، كظاهرة التكفير والتبديع، أو من خلال الممارسات الميدانية الدموية التي تقوض وحدة المسلمين وقدسية أخوّتهم. والتي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض، ويلعن بعضكم بعضا".

• وحدة المسلمين تشكل مناعة أمنية ذاتية، من شأنها أن توقف الصراعات والفتن الطائفية والمذهبية والعرقية التي يحركها ويراهن على جدواها الاستكبار العالمي.

• وحدة المسلمين تشكل أحد أكبر المانعات الوطنية للتدخلات الخارجية وبالتالي إحباط كل المشاريع التآمرية التي تستهدف لبنان مقاومة وشعبًا ومؤسسات.

(إننا نعيش) مؤامرة كبرى وهجمة غير مسبوقة على الإسلام كدين، كما على المسلمين كهوية ووجود. مما يرفع حكم الوجوب الشرعي لوحدة المسلمين، ويختصها بالأولوية التي لا تتقدمها إلا شهادة لا إله إلا الله والتي هي عنوان الوحدانية وأساس الوحدة الإسلامية ولبها وجوهرها.

• فمن استهدافات المؤامرة العالمية على الاسلام:

• ما أعلنه الأمين العام لحلف شمالي الأطلسي بقوله: «لم يبق لنا من عدو بعد سقوط الاتحاد السوفياتي إلا الإسلام».

• العمل على تقديم ما أسماه الرئيس الأميركي الخاسر بوش: [الإسلام المعدل] أي الإسلام الذي انتزعت منه كل معاني القوة والعزة والجهاد والعلم والحضارة والحرية والوحدة، وبعبارة أخرى كل معاني الحياة التي اختزلها الخطاب الإلهي من خلال قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ .

• السعي إلى اختراق مؤسساتنا التعليمية ومعاهدنا وجامعاتنا الإسلامية، بقصد تشويه المناهج المعتمدة بذريعة أنها محاضن للإرهاب والإرهابيين، في وقت يسعى فيه لتقديم صورة شوهاء مبتذلة عن الإسلام مخالفة بالكلية لما أجمعت عليه الأمة قديمًا وحديثًا...

ومن استهدافات الهجمة العالمية على المسلمين:

• حرب الإبادة التي تمارسها الصهيونية العالمية ضد الشعب الفلسطيني منذ ما يقرب من ستين عامًا!

• الحرب الشعواء التي شنتها الولايات المتحدة وحلفاؤها على أفغانستان بحجة محاربة الإرهاب وملاحقة تنظيم القاعدة وسوق بن لادن إلى العدالة.

• الحرب المدمرة التي شنتها قوات التحالف على العراق بذريعة

البحث عن أسلحة الدمار الشامل، والتي أكدت التقارير الدولية والأميركية الرسمية خلو العراق منها تمامًا!

• وضع اليد على دول العالم الإسلامي وبخاصة الرافضة للهيمنة الأميركية كسوريا ولبنان وإيران، والعمل على إضعافها وتجريدها من أسلحتها حتى الدفاعية، وضرب حركات المقاومة التي حققت معادلة توازن الرعب وأقضّت مضاجع الأعداء في الداخل والخارج.

• اللجوء إلى السلاح الأكثر فتكًا في الأمة من أسلحة الدمار الشامل على ضراوتها، وأعني به سلاح الفتن الداخلية، وإيقاظ وتحريك النزاعات الطائفية والمذهبية والعرقية والإثنية كالحال الذي يشهده العراق بعد سقوط نظام صدام، والذي عاشه لبنان في أعقاب الجريمة النكراء التي أودت بحياة الرئيس الحريري وعلى قاعدة فرق تسد.

ولقد عبر وارن كريستوفر وزير الخارجية الأميركي في عهد كلنتون عن سياسية بلاده في اتجاه تفتيت العالم إلى دويلات فقال: «نحن نطمح إلى أن يكون في العالم خمسة آلاف دولة وليس مئتا دولة فقط!!».

• إقامة نظام شرق أوسطي تكون الدولة العبرية فيه صاحبة القرار والأكثر تفوقًا عسكريًا تعاضدها القوات الأميركية من خلال القواعد العسكرية التي بلغ عددها قبل الحرب على أفغانستان ٤٦ قاعدة عسكرية، والتي بلغت أضعاف ذلك بعد

الحـربين علـى أفغانسـتان والعـراق، بحسـب الوثـائق والتقـارير الرسمية.

معوقات الوحدة الإسلامية:

لا أكـتمكم أن المعوقـات الـتي تقـف حـائلا دون قيـام الوحـدة الإسـلامية كـثيرة ومعقـدة وخطـيرة، منهـا مـا هـو داخلـي النشـأة ومنهـا مـا هـو خـارجي المنبـت، تـآمري الهـدف، شـيطاني المشـروع. والمطلوب من المسلمين جميعًا، وعلى مختلف انتماءاتهم المذهبية والحركية، وتعـدد لقـاءاتهم ومـؤتمراتهم، أن يحسـنوا تشـخيص المشكلة، وأن يقرأوا ما يجري بدقة وتجرد وصدقية، وصولا إلى رسم خارطة للطريق المؤدية إلى وحدة المسلمين في زمن كثر فيه رسم الخـرائط التآمرية ـ ومنهـا بخاصـة الأميركيـة والصـهيونية ـ على المسلمين وقضاياهم المصيرية.

المعوقات من منظوري الإسلامي الخاص :

لـيس عـدلا أن أطـالبكم بمـا أعفـي منـه نفسـي.. وأكـره أن يكون كلامي بمثابة دفع الكرة إلى ملاعب الآخرين، من هنا جئت لأقول لكم وبكل صراحة، إن المعوقات الداخلية للوحدة الإسلامية تكمن في أمرين اثنين: الأول عقائدي وفقهي المنحى، والثاني سياسي ومصلحي الخلفية.

• فأما ما يتصل بالمحور الأول فكلنا يدرك ويعرف ويعلم ـ سنة

وشيعة ـ أن للخلاف المذهبي أصولا وأسبابًا موضوعية (فقهية وتاريخية) لا يؤدي القفز من فوقها والهروب منها إلا إلى مزيد من الاحتقان والتشنج، وصولا إلى الانفجار.. والمطلوب: تناول هذه القضايا بالبحث والدراسة المؤصلة، ومن خلال مرجعيات موثوقة متخصصة من الجانبين يمكن أن تحسم الكثير من تلكم الخلافات وبخاصة ما يعتبر منها بمثابة فتائل تفجيرية قابلة للاشتعال في أية لحظة...

المطلوب: مشروع إسلامي مقاوم

إنه لا بد من مشروع إسلامي مقاوم يجمع السنة بكل فئاتهم والشيعة على مختلف مرجعياتهم وأطيافهم في مواجهة عدو مشترك، وصفه الإمام الخميني بالشيطان الأكبر، إنه التحالف الأميركي الصهيوني، الذي لا يجوز الاختلاف على هويته الشيطانية، وعلى التعامل معه على هذا الأساس..

وأختم كلامي بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ، وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ .

معالم مشروع الوحدة الثقافية عند الشيخ محمد الغزالي*

• لا أعتبر التتار مسقطي الخلافة بل أسقطتها قصور مترعة بالإثم • المرضى بالشقاق عكروا الصفو ومزّقوا الشمل • العقائد في ديننا لا تثبت بأخبار الآحاد بل بالتواتر • السلفية ليست فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب • نرى ضرورة إزالة البُله وذوي العقد النفسية من قيادة الفكر الديني • إن التعصب لرأي أحد الفقهاء غباء • بعض الأفراد يجد مُتعة في قضايا الخلاف ليثور ويفور • رأيت من أدعياء التدين ما يدعو للجزع!! • إن أمراضكم النفسية والفكرية تمحق دين الله ودنيا الناس على السواء • لماذا تُجترّ خلافات بين السلف وتمنح القدرة على الحياة والأذى؟!.

فهم التاريخ على النحو الصحيح

الشيخ الغزالي لا ينظر بعين التقديس إلى كلّ من أسموا أنفسهم خلفاء في التاريخ الإسلامي ويرى أن الطغيان السياسي في

* ـ من كتاب *دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين*.

تاريخنا هو سبب كلّ ما حلّ بأمتنا من دمار يقول:

«قلت لصديق يحدثني عن التاريخ الإسلامي: إسمع يا أخي، إن الامويين والعباسيين والعثمانيين لم يقدموا لنا صورة صادقة للخلافة الإسلامية، وتتفاوت نسبة الدمامة في الصورة التي قدموها تفاوتًا يسيرًا! وقد عدّ أئمتنا عمر بن عبدالعزيز الخليفة الخامس بعد الراشدين الأربعة، ثم ماذا؟

ملكٌ عضوضٌ يعمل لنفسه ولله معًا، وعمله لله هو الغطاء الذي يداري به نهمته إلى الجاه والمال ، وقد وُجد من كان عمله لله أرجح، ثم بدأ هذا الصنف يقلّ حتى انفرد بالسلطان من لا يعمل إلا لنفسه وحسب..

هل تنجح دعوة للإسلام سنادها الداخلي هذا المجون؟ هل يبقى الدين نفسه مع تلك الأوضاع المقلوبة والحقوق المغصوبة؟

اسمع يا أخي أنا لا أعتبر التتار هم مسقطي الخلافة في بغداد، إن الخلافة أسقطتها من قبلُ قصور مترعة بالإثم..!! متخمة بالملذات الحرام..!

أنا لا أعدّ الصليبيين هم مسقطي دولتنا في الأندلس، إن المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا راية الإسلام عن هذه الربوع الخضرة، إن ملوك الطوائف في الأندلس لم يكونوا أبناء شرعيين لطارق بن زياد، ولا لغيره من الأبطال الذين باعوا لله أنفسهم فأورثهم الأرضين.

إننا قبل غيرنا العقبة الأولى أمام دين عظيم. إنّ التحدّي الأول

يجيء من داخل أرضنا ثم تجيء من بعده تحديات الأعداء التقليديين».[1].

وهذه نظرة لها مردودها على واقعنا الراهن قبل أن تكون حكمًا على التاريخ، وهي مسألة - إن اتفق عليها المسلمون - تستطيع أن تقضي على كثير من الخلافات الناشئة عن النظرة التقديسية للخلافة.

النظرة الواقعية للخلاف المذهبي

تضخيم الخلافات ونسيان مساحات الاتفاق من الأسباب الهامة للخلافات المذهبية بين المسلمين، وفي هذا المجال يؤكد الشيخ الغزالي على المشتركات ، ويلقي الضوء على مواطن الخلاف ليعطيها مساحتها التي تستحق دون أن تكبر وتشغل الأمة.

يقول الشيخ الغزالي:

«.. نحب أن نقرر أمورًا ذات بال في مجال ثقافتنا الإسلامية:

١- إن المتفق عليه كثير جدًا ، وإن التشبث به وحده كاف في النجاة. فالإيمان بالله ولقائه والسمع والطاعة لما جاء عنه، وأداء الأركان المجمع عليها في ميدان العبادات، وترك المعاصي المجمع عليها في ميدان المحظورات، وبناء النفوس على مكارم الأخلاق وأشرف التقاليد... إنّ هذا كلّه يقيم أمة لها مكانتها في الدنيا والآخرة.

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين*، ص ١٠ - ١١.

ولكن جماهير من الدهماء والأذكياء شغلتها للأسف الخلافات العارضة، ولم تحسن استثمار ما انعقد الاجماع عليه، وكادت تُضيع الإسلام ذاته بهذا العوج الفكري.

٢- المذاهب الإسلامية الكبرى اختلفت في الفروع لا في الأصل، وكان من الممكن أن يتعاون الأتباع فيما اتفقوا فيه، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا عليه، وهذا ما آثره أولو الألباب، ولكن المرضى بالشقاق عكّروا الصفو ومزّقوا الشمل..

٣- عند التأمل في التركة الثقيلة من الخلافات التي ورثناها نجد أن بعضها أملاه الترف العقلي، وأن بعضها آخر لفظي لا محصل له، وأن منها ما أشعل ناره الاستبداد السياسي، واستبقاه عمدًا إلى يومنا هذا..»

ثم يرى أن الخلاف الفقهي كان ويكون وسيبقى إلى آخر الدهر لأسباب طبيعية مقبولة منها:

١ـ الطبيعة اللغوية: كاختلاف الفقهاء في تحديد معنى «قُرء» و«لامستم» وفي معنى بعض حروف الجر، وهذه الاختلافات تركت أثرها في فقه العبادات والعقود والحدود.

٢- أحاديث الآحاد ودورها في التشريع، وينقل الشيخ الغزالي عن «ابن تيمية» ماذكره في رسالته رفع الملام عن الأئمة الاعلام حيث أورد عشرة أسباب للخلاف الفقهي، ودور أحاديث الآحاد في تعدّد المذاهب ..[1].

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ٤٣ ـ ٤٧.

العقيدة لا تثبت بأخبار الآحاد

كثير من الخلافات القائمة في إطار العقيدة بين المذاهب الإسلامية مردّها إلى الاستناد إلى أخبار الآحاد، وهي الأخبار غير المتواترة، «وقد كان لذلك آثر رديء في مسالك الأفراد والجماعات وخصوصًا العوام وأشباههم»[1].

ويرى الشيخ الغزالي أن أخبار الآحاد لا تفيد القطع لأسباب ملخصها:

«١ـ الفرد (الراوي) قد ينسى أو يخطئ، فهو بشر، وقد تفاوتت كلمات الرواة في نقل حادثة واحدة تبعًا لذلك..

٢- نحن في شؤون الدنيا نستوثق للحقوق بجعل شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين، فكيف نهبط بنصاب الثقة في شؤون الدين؟ وإذا كان خبر العدل لا يُثبت عشرة دنانير، فكيف يثبت عقيدة قد تطيح عند جحدها بالرقاب؟!

٣- رأينا من أسباب الخلاف الفقهي أن خبر الواحد ربّما لم يصل إلى الأكابر أو وصل إليهم ثم نسوه! فهل هذه القناة المحدودة تصلح مجرى لنقل العقائد الرئيسة التي يهلك مَنْ جهلها؟

إن المفروض ابتداءًا أن تأخذ هذه العقائد طريقًا مستوعبة شاملة، لا يبقى معها جهل ولا غفلة.

إن أخبار الآحاد تشبه في عصرنا حديثًا صحفيًا مع رئيس

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ٥٣.

الدولة، أما مصادر العقيدة والحقوق العامة فهي تشبه الدستور الذي ولد في الساحات العريضة وتيسّرت مواده لكلّ مطّلع.

٤- المتواتر مصون كلاً وجزءًا، أما أخبار الآحاد فقد تضمنت ما رفضه الأئمة والراسخون في العلم، ككون المعوذتين ليستا من القرآن، أو أن سورة الأحزاب كانت في طول سورة البقرة ثم نُسخت.. أو أن إرضاع الكبار يُحرم كرضاع الصغار، أو أن لحديث الغرانيق أصلاً ما ـ ولو أصلاً ضعيفًا ـ أو أن الصائم يتناول البَرَد ولا يفطر.

إنّ هذه المرويّات حبر على ورق عند رجال الإسلام مع ورودها في كتب السنن!!..

على أية حال فإن العقائد في ديننا، لم تتلقها الأمة بأسانيد مفردة أو مزدوجة، بل تلقتها بالتواتر المؤسس للثقة المطلقة.

ولا توجد في مصادرنا الثقافية عقيدة عَبَرت إلى الأخلاف عن طريق آحاد، ومن زعم ذلك فهو مختلق»[1].

احترام الرأي المخالف

من المبادئ التي التزم بها العلماء المسلمون على مرّ العصور احترام الرأي الفقهي المخالف.

يقول الغزالي: «والفقهاء المجتهدون ـ وإن اختلفت آراؤهم ـ

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ٥٣ - ٥٨

يحترم بعضهم بعضًا، ويحترم حريته في مخالفته ـ وقد رأينا مالك بن أنس يرفض حمل الناس على مذهبه في كتاب الموطّأ، ويقول: إن أصحاب رسول الله (ص) تفرقوا في الأمصار وقد يكون لديهم مافاته.

وقد أنكر ابن مسعود إتمام الصلاة الرباعية أيام التشريق. لما بلغه أن عثمان فعل ذلك، وقد رُئي ابن عباس بعدها يصلّي وراء عثمان مُتمًّا فلما كُلّم في صنيعه قال: أكره الخلاف ..!

وقد كان أحمد بن حنبل يرى أن الحجامة تنقض الوضوء، فسُئل عمّن رأى الإمام احتجم وقام إلى الصلاة ولم يتوضّأ، هل يُصلّي الإمام خلفه؟ فقال رضي الله عنه: كيف لا أصلّي خلف مالك وسعيد بن المسيب؟..

وروي أن الشافعي ترك القنوت في صلاة الصبح لما صلّى مع جماعة من الأحناف في أحد مساجد بغداد، وذلك رعاية لأدب الإسلام، ورغبة عن الخلاف...».

ويشير الغزالي إلى موقف ابن تيمية من الاجتهادات الشاذّة لدى بعض الفقهاء وقال: «وقد ذكر ابن تيمية جملة من الاجتهادات التي أخذ بها أصحابها معتمدين على أسباب الخلاف التي أشرنا إليها ورتّب على ذلك أن لا تثريب عليهم ويغفر الله لنا ولهم».

ثم يقارن بين هذا الموقف وموقف من يدّعون أنهم أتباع ابن تيمية فيقول: «بهذا العقل المتفتح، والقلب المتّسع ينظر ابن تيمية إلى ما وقع بين الأئمة من خلاف ويرفع عنهم الملام.. ثم خلفت

خلوف تحاول هدم هذه القمم، وتتلمس لها الأخطاء من بعيد.. وتريد أن تجعل الإسلام بلا تاريخ علمي، ولا مفكرين كبار.. وتنظر إلى هذه الخلوف المسعورة فترى مزيجاً من الجهل والكبر لا يستحق إلا المقت والازدراء»[1].

السلفية الواعية

لقد مرّ التاريخُ الإسلامي بمعارك كلاميّة «كنّا والله في غنى عنها، اختلقها الترف العقلي ونمّاها، وشُغلت بها الجماهير عن خير الدنيا والآخرة، وبقيت في كتب العقائد ذكريات مؤسفة.

وها قد سلخ من عمره المديد أربعة عشر قرنًا وعانت أمته أيامًا عصيبة لانطلاقها بغير قواها وإلى غير وجهتها».

وليس القلق «من كثرة المذاهب الفكرية في شؤون الأدب والحياة.. وإنما نكره التفرّق في المعتقد، والتحزب في أصول الديانة، ونؤثر دراسة العقائد من منهجها القرآني ونبعها النقي كما تدفّق به الوحي الأعلى، ونهض عليه سلفنا الصالحون».

وهذه هي السلفية الواعية التي تجمع ولا تفرّق، غير أن أقوامًا نظروا إلى السلفية من منظارهم الضيّق، فجعلوا منها بداوة وتخلفًا وجمودًا. يقول الغزالي:

«والسلفية ليست فرقة تسكن بقاعًا من جزيرة العرب وتحيا على نحو اجتماعي معيّن.

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ٦٧ - ٧٢

إننا نرفض هذا الفهم ونأبى الانتماء إليه.

إن السلفية نزعة عقلية وعاطفية ترتبط بخير القرون، وتعمق ولاءها لكتاب الله وسنَّة رسوله، وتحشد جهود المسلمين المادية والأدبية لإعلاء كلمة الله دون نظر إلى عرق أو لون.

وفهمها للإسلام وعملها له يرتفعان إلى مستوى عمومه وخلوده وتجاوبه مع الفطرة وقيامه على العقل.

وقد رأيت أناسًا يفهمون السلفية على أنها فقه أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وهذا خطأ.. ففقه أحمد أحد الخطوط الفكرية في الثقافة الإسلامية التي تسع أئمة الأمصار وغيرهم مهما كثروا.

ورأيت ناسًا يفهمون السلفية على أنها مدرسة النص، وهذا خطأ فإن مدرسة الرأي كمدرسة الأثر في أخذها من الإسلام واعتمادها عليه.

وقد كان من هؤلاء من تسمّوا أخيرًا بأهل الحديث، وسيطرت عليهم أفكار قاصرة في فهم الأخبار المروية، وأحدثوا في الحرم فتنة منكورة.

والحديث النبوي ليس حكرًا على طائفة بعينها من المسلمين، بل إنه مصدر رئيسي للفقه المذهبي كله.

ورأيت ناسًا تغلب عليهم البداوة، يكرهون المكتشفات العلمية الحديثة ولا يحسنون الانتفاع بها في دعم الرسالة الإسلامية وحماية تعاليمها، ويرفضون الحديث في التليفزيون مثلاً لأن ظهور الصورة على الشاشة حرام، ويتناولون المقررات الفلكية

والجغرافية وغيرها بالهزء والإنكار، وهؤلاء في الحقيقة لا سلف ولا خلف، وأدمغتهم تحتاج إلى تشكيل جديد.

ورأيت ناسًا يتبعون الأعنت الأعنت، والأغلظ الأغلظ، من كل رأي قيل، فما يفتون الناس إلا بما يشق عليهم وينغّص معايشهم، ويؤخر مسيرة المؤمنين في الدنيا، ويأوي بهم إلى كهوفها المظلمة. وهؤلاء أيضا لا سلف ولا خلف. إنهم أناس في انتسابهم إلى علوم الدين نظر، وأغلبهم معتل الضمير والتفكير.

ورأيت ناسًا يتبعون إلغاء الرقيق بعيون كئيبة! قلت لهم: إلا تعرفون أن هؤلاء العبيد هم أحرار أولاد أحرار اختطفتهم عصابات النخاسة من أقطارهم، وباعتهم كفرانًا وعدوانًا ليكونوا لكم خدمًا، وهم في الحقيقة سادة؟!

ما السلفية التي تقر هذا البلاء؟ وما هؤلاء العلماء الذين ضاقوا بسياسة الملك فيصل في تحريرهم ، وإلغاء بيعهم وشرائهم؟ إن الرجل الشهيد أولى بالله منهم.

ورأيت ناسًا يقولون: إن آية: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ (البقرة/١٩٠) مرحلية.

فإذا أمكنتنا اليد! لم نبق على أحد من الكافرين.

قلت: ما هذه سلفية. هذا فكر قطاع طرق لا أصحاب دعوة شريفة حصيفة، وأولئك لا يؤمَنون على تدريس الإسلام لجماعة من التلامذة بله أن يقدَّموا في المحافل الدولية والمجامع الدولية.

إن العالم الإسلامي الآن متخلّف حضاريًا، ومضطرب أخلاقيًا

واجتماعيًا وسياسيًا، وبينه وبين الأمم القائدة الصاعدة أمد بعيد.

هذه الأمم تعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا، وتفتقر إلى جيل من البشر يذكرها بالله ولقائه.

والإسلام وحده هو المالك لهذه الحقائق الهادية. ولكي تؤدي أمته رسالتها يجب عليها أمران:

الأول: أن تطوى مسافة التخلف الحضاري، والاضطراب الإنساني الذي يشينها ولا يزينها.

والثاني: أن تتقدم بشرف وكياسة لتقول للناس كلهم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء/ ١٧٤).

ولكي ننجح في عملنا يجب أن نقتفي آثار سلفنا.

والسلفية هنا عنوان كبير لحقيقة كبيرة أساسها العقل الحر المكتشف الدؤوب.

إن هذا العقل عندما رغب عن البحث في الذات العليا وحقيقة الصفات، كان يحترم نفسه عندما توقف. والعلم المعاصر نجح أيما نجاح عندما بحث في المادة التي بين يديه ولم يبحث في ربها - سبحانه - فأنى له البحث فيما لا يملك ولا يقدر؟!

من أجل ذلك نرفض النظريات الكلامية، ونقبل المذاهب الفقهية، ونضع الشبكة القانونية التي يتطلبها انتقال الحياة من طور إلى طور.

من أجل ذلك نهشّ للتقدم العلمي ونطوّعه لنصرة مبادئنا ومُثُلنا.

ومن أجل ذلك نرى ضرورة إزاحة البله وذوي العقد النفسية من قيادة الفكر الديني، فإنهم غشاوات على البصائر، وحجب على الضمائر.

إننا محتاجون إلى فقهاء يستطيعون النظر في سياسة المال والحكم، ويرفضون أن يسبقهم الإلحاد إلى اجتذاب الشعوب الفقيرة في هذه الميادين الخطيرة. ومحتاجون إلى فقهاء يهيمنون على شؤون التربية والإعلام برحابة الإسلام وبشاشته لا بالتزمت والتكلف.

إن الفقه الإسلامي كما قدمه سلفنا حضارة معجزة، أما الفقه الإسلامي كما يقدمه البعض الآن فهو يميت ولا يحيى[1].

انشغال عن عظائم الأمور

الانشغال بالجزئيات والاستغراق فيها ينسي الفرد والجماعة مهامها الكبرى، وهو خطر مابعده خطر، وهذه الظاهرة بارزة بين المتدينين في عالمنا الإسلامي مع الأسف. يقول الشيخ الغزالي: «ولم أر أناسًا حبستهم الجزئيات وغلبتهم على رشدهم مثل صرعى التعصّب المذهبي عندنا.

وأظنّ السبب في ذلك أسلوب تعليم العوام. إن المدرّس يقول في ثقة: حكم الله كذا في هذه القضية، رأي الدين كذا في ذلك

---

١ - *دستور الوحدة الإسلامية*، ٩٢ - ٩٣.

الموضوع.. فيظنّ المستمع أن ما سمع هو حكم الله ورسوله.

وما ينبغي أن يُذكر حكم بهذا الجزم إلا ما قُطع به، أما الاجتهادات المذهبية فينبغي أن يقول المفتي: أرى الحكم كذا، أو الحكم عندنا كذا، أو صحّ الدليل لدينا بكذا، ويترك مجالاً للرأي الآخر فلا يحرمه من الانتماء إلى الإسلام.

وعلى الأتباع أن يستبينوا قيمة مايؤدون وما يدعون، فلا يظنوا الإسلام حكرًا على مسالكهم وحدها. واختيار المسلم لمذهب ما، لا يجوز أن يتحول إلى لجاجة ومغاضبة، فإن ذلك يُفسد النية ويمزق الأمة ويوهى الصلة بالله سبحانه وتعالى.

والموضوع كله لا مكان فيه لمكابرة واستطالة، إنه أهون من ذلك كثيرًا.

سألني صيدلي عن حكم من أدرك الإمام راكعًا ولم يقرأ الفاتحة، أتسقط الركعة عنه أم يعيدها؟

قلت: الجمهور على سقوط الركعة عنه، وهناك من يرى قضاءها، فاختر لنفسك ما يحلو.

قال: أعرف ذلك ولكن أريد مناقشة من يرى عدم قضاء الركعة..!

قلت له: ما جدوى ذلك عليك؟ ولماذا تتكلف ما لا تحسن وتترك ما تحسن..؟ قال : ما معنى ماتقول؟

قلت: أنت صيدلي، وجميع الأدوية في دكانك من صنع الصهيونيين أو الصليبيين أو الشيوعيين، فإذا تركت أنت

وزملاؤك هذا الميدان، ميدان صناعة الدواء، واشتغلت باللغو، أفتحسب ذلك يرفعك عند الله وعند الناس؟ إنك للأسف تسهم في سقوط الأمة وتجعلها غير جديرة بالحياة.

قال: إنني أبحث في حكم شرعي ولا أشتغل باللغو.

قلت: الحكم الشرعي كما قرره أهل الذكر بين أمرين، خذ منهما ماشئت، ولا يجوز أن تحوّل الموضوع إلى لبان يمضغه الفارغون. إن كل ما يصرفك عن ميدان الدواء هو في حقيقته عبث أو عيب أو ذنب تؤاخذ به.

أما أن تؤلف رابطة عنوانها «جماعة من يقضون الركعة إذا لم تقرأ الفاتحة» فهذا سخف. ما قيمة هذا الرأي أو ذاك حتى يحشّى به عقول الناس؟

إن المسلمين المعاصرين نسوا ضياع التركستان والقرم، ولم ينسوا الخلاف على الجهر بالبسملة أول الفاتحة.

لحساب من تستثار المشاعر المشبوبة وراء رأي فقهي؟ إن كان خطأ أو صوابًا، فهو مأجور. وماذا يبقى من مشاعر الناس بإزاء العقائد الأولى، والوحدة الجامعة، والتماسك في وجه أعداء لاينامون حتى يقضوا علينا..؟

إن التعصب لرأى أحد الفقهاء غباء، اعمل به إن شئت، ولا تستحمق إذا رأيت غيرك يعمل بضده.

وإذا وجد مجال لبحث وجوه النظر وقيم الأدلة - لمن يقدرون على ذلك - فلا حرج! ثم يصير كل إلى ما يرى. إنني استيقنت من

أن التعصب الشديد لمسألة ثانوية يتم على على حساب الدماء والأموال والأعراض وكرامة الأمة وحياتها.

وأذكر صحفيًا ممن شهدوا القبض على الجماعة التي احتلت الحرم المكي هذه السنة[1]، قال لي: عندما أخذنا صورًا لهم رأيت بعضهم يتململ، فقلت له: مالك؟ قال لا تصورونا فالتصوير حرام!

قلت له: ترى أن التصوير حرام، وقتل الأبرياء في المسجد وامتهان قداسته مباحان!!

هذه هي عقلية المتشبثين ببعض الأفكار والفتاوى، وذلك مبلغهم من العلم، يعمون عن العظائم ولا يرون إلا ما يضخمون من وجهات نظر، قد يكون خطؤها أجلى من صوابها.

ذلك وقد ظهر نوع آخر من التعصب! جماعة يتسمون أهل الحديث، يفهم أحدهم في الخبر المروي فهمًا معينًا، فإذا خالفته في فهمه اتهمك بأنك تخالف السنَّة، أو تخاصم الرسول(ص)، وهذا بلاء جديد شديد [2].

آفة المتعصبين

يظهر أن الشيخ الغزالي عانى كثيرًا من التعصّب، وواجهه بكل شجاعة، واكتوى بناره، وراح يفكّر مليًا في حالة المتعصبين، فخرج بما يلي، يقول:

---

١ - ويقصد سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ٧٧ ـ ٧٩.

«لقيت متعصبين كثيرين، ودرست عن كثب أحوالهم النفسية والفكرية، فوجدت آفتين تفتكان بهم:

الأولى: العجز العلمي، أو قلة المعرفة! هؤلاء يحفظون نصًا وينسون آخر، أو يفهمون دلالة للكلام هنا، ويجهلون أخرى، وهم يحسبون ما أدركوه الدين كلّه.

ولو أن هؤلاء اكتفوا بمنزلة المتعلم التابع ما عابهم ذلك كثيرًا، فليس كل مسلم مطالبًا بمعرفة جميع الأقوال الواردة والدلالات المحتملة.

المصيبة أن يشتغلوا مفتين أو موجهين، وهم بهذا المستوى الهابط!...

والآفة الثانية في التعصب المذهبي: سوء النية، ووجود أمراض نفسية دفينة وراء السلوك الإنساني المعوج، ويغلب أن تكون آفات الظهور والاستعلاء أو رذائل القسوة والتسلط. كنت في مجلس قرآن ختم القارئ فيه التلاوة بقوله: صدق الله العظيم. فإذا جالس ينتفض كأنما لسعته عقرب يقول: هذه بدعة.. قلت له: لا أبحث معك أنها بدعة أو سنّة، وإنّما أسالك: ما هذا الفزع؟ لكأنما سقط على رأسك حجر!! الأمر ما يعالج بهذه العاصفة . إجلس.

هذا الصنف من الناس لم يهذّب نفسه بالأخلاق التي بُعث بها صاحب الرسالة ليتمّم مكارمها.. إن صور العبادة عنده غطاء لقلب غليظ، وغرائز فجّة.

وهو يجد متعة في قضايا الخلاف ليثور ويفور، وظاهر الأمر

الغضب للدين، وهو في الحقيقة ينفّس عن طبيعة معتلّة، وتربية ناقصة أو مفقودة»[1].

مرضى القلوب

حين تحدّث الغزالي عن آفة المتعصبين لخصها في آفة العجز العلمي وآفة سوء النية، الأولى: علمية، والثانية: نفسية. والواقع أن الرجل يهتم بالعامل النفسي أكثر، وهذه هي النقطة البارزة في مشروع الشيخ. يخصص فصلاً للانحرافات النفسية والبدنية، ويرى أن الانحرافات النفسية أخطر من البدنية، فالمعاصي البدنية «شهوات محددة الخطر ـ على قبحها وسوء مغبتها ـ فالإسراف في الطعام مثلاً، يسلب المرء عفّته. وربّما كان للبدن تطلّعات أشدّ ضراوة، ومع ذلك فهو أدنى من جنون العظمة أو عبادة الذات التي تقود إلى الفرعنة وقسوة القلب وإهلاك الحرث والنسل في سبيل المجد الشخصي!!».

«والاغترار بالنفس أو الدوران حول الذات لا يبدو في طلب الرياسة بالأساليب القذرة وحسب، كلاّ إنه قد يبدو في تنقّص رجل معروف أو اعتناق رأي شاذ، أو المكابرة في حوار، أو ما شابه ذلك من مواقف لأناس يعملون في الميدان الديني أو الميدان المدني على سواء...».

---

١ ـ *دستور الوحدة الثقافية*، ص ٧٤ ـ ٧٥.

«وفي ميدان التدين تعتبر الطاعات التي يقوم بها هؤلاء ستارًا لنيات مغشوشة أو ترجمة معكوسة لما يكمن في عقولهم الباطنة..».

«وهؤلاء المرضى بالشذوذ والحقد يكثرون من التلاوة وصور العبادة، وينتهزون الفرص التي تتنفس فيها طباعهم فيضربون ضربتهم، وقد كانوا كثرًا في جيش علي بن أبي طالب، ولكنهم شغلوا عليًا عن هدفه حتى انهزم، وكانت صيحتهم: لا حكم إلا لله! وكان تعليق علي: «كلمة حق أريد بها باطل»!! إنّ المتدينين من هذا الصنف الغاش بلاء على الدين وعقبة أمام امتداده».

ويظهر أن الشيخ الغزالي مثله مثل كل الدعاة المخلصين قد عانى من مرضى النفوس كثيرًا، ولذلك فإنه يحاول أن يبحث عن جذور هذا المرض. يقول: «لقد عناني من أمر العلل النفسية أو معاصي القلوب لأني اكتويت بنارها، ورأيت من أدعياء التدين ما يدعو للجزع» .

ويخاطب هؤلاء الأدعياء المتزمتين الذين يكيلون التهم للآخرين، ويدورون مع ذواتهم أينما دارت بلغة غاضبة فيقول: «ونحن نعرف أن آباءكم قتلوا عليًا باسم الدفاع عن الوحدة الإسلامية، وقتلوا عثمان باسم الدفاع عن النزاهة الإسلامية، وقتلوا عمر باسم الدفاع عن العدالة الإسلامية، فيا أولاد الأفاعي إلى متى تتسترون بالإسلام لضرب الرجال الذين يعيشون له

ويجاهدون لنصرته؟! ولحساب مَن تكنّون هذه الضغائن عليهم، وتسعون جاهدين للإيقاع بهم وتحريش السلطات عليهم..؟!».

ويقول أيضا في لغة حادّة: «وهؤلاء المرضى المعتوهون يفهمون في المرويات فهمًا ما، ثم يقولون: هذا هو النص! ما نراه نحن هو رأي الله ورسوله، أي حكم الله ورسوله!

ومعنى ذلك أنك حين تقاومهم تقاوم الإسلام نفسه وتحارب الله ورسوله. وهذا هو البلاء المبين.

ونقول جادين: إن الإسلام لن يحكم ولا يجوز أن يحكم إذا كان أولئك العميان قادة قافلته والمتحدثين باسمه، فإن أمراضكم النفسية والفكرية تمحق دين الله ودنيا الناس على سواء..

الإسلام نور وهؤلاء ظلمة، إنه طهر وهؤلاء قذى !!».

موقف الشيخ الغزالي من هؤلاء المرضى ليس ردّ فعل لما وجهوه إليه من إساءات ، بل إنه يأتي في إطار حديثه عن «الوحدة الثقافية بين المسلمين» لأنّ «كثيرًا من الخصومات الفكرية القديمة في علم الكلام كان مظهرًا للعلل النفسية أكثر مما هو لخدمة الإسلام..».

أهمّ ما يجول حوله فكر الشيخ الغزالي بشأن سبب الانحرافات النفسية هو «انعدام الإخلاص». فالإخلاص «روح الدين وآية الصدق، وسياج العمل، وضمان قبوله في الدنيا والآخرة.. وهو عنصر نادر بين الناس، لأننا نقصد بالإخلاص تجريد القصد لله

وحده، وابتغاء وجهه الكريم.. وأغلب الناس يدورن حول أنفسهم فيما يعملون أو يتركون، وينشدون مصالحهم الخاصة، أو منافعهم العاجلة».

لكن الشيخ حينما يقرأ عبارة تعنى بسبب الانحرافات النفسية يلتقطها، ويرتاح إليها، وينقلها في كتابه، مثل ما نقل عن مصطفى أمين قوله عن عامل الخوف وتأثيره في سلوك الأفراد إذ يقول: «عرفت جبناء يخافون من أشباحهم ويرتعدون رعبًا إذا رأوا فأرًا يجلس على كرسي، وتسيب مفاصلهم أمام غضب عمدة أو تهديد مأمور!

وعرفت شجعانًا تطول قامتهم أمام العواصف. يثبتون في مواجهة الأعاصير. يذهبون إلى الموت وكأنهم يذهبون إلى حفلة شاي!

وكنت ألاحظ دائما أن الجبان لا يؤمن إلا بنفسه. إلهه في داخله. يتعبد له ويصلّي له ولا يشرك به أبدًا. ولهذا فهو خائف على رزقه، وخائف على وظيفته، وخائف على حياته، خائف من كل شيء، لا يطمئن إلى شيء ولا يثق بشيء. ولهذا فهو يرى الجبن هو المخبأ الذي يتحصن فيه من أخطار الحياة!

ولم أر في حياتي جبانًا وصل إلى المقدمة. لابد أن يتعلق بذيل صاحب سلطة، أو صاحب جاه. وهو ليست لديه الشجاعة أن يتقدم خطوة، فهو إذا قدّم ساقًا آخّر ساقًا، ولهذا يبقى في مكانه طويلا، وإذا دفعته الأيام إلى الأمام عاش صغيرًا في المكان

الكبير، ويتصرف كما يتصرف الصغار. يدس ولا يواجه. يضرب من الخلف ولا يقاتل من أمام. يهمس ولا يرفع صوتًا. لأنه أجبن من أن يعلن رأيه. وهو في أغلب الأحيان لا رأي له، فهو يقبل على الشمس إذا أشرقت ويدير لها ظهره إذا غربت.

وخوفه يجعله يتضاءل . ويرى خصومه يكبرون ويتعاظمون. ولو كان شجاعًا لرأى الناس بأحجامهم الحقيقية. وهو له قامة تساوى قامة الناس، ولكن في داخله دودة الجبن التي تجعله يحس أنه دودة صغيرة، ولهذا يتضاءل ويصغر وينكمش.

والشجاع لا يخاف إلا الله. إذا حارب حارب في النور، وإذا آمن برأي أعلنه ولم يكتمه، وإذا اعتنق عقيدة قاتل من أجلها. والذين في قلوبهم الإيمان يشعرون بقوة هائلة، تقتحم الأهوال وتواجه الأعاصير وتحتمل المحن والخطوب. والإيمان يصنع من القزم عملاقًا، والجُبن يحوّل العملاق إلى قزم صغير! الإيمان يمنح الإنسان جيشًا يحارب معه, والجبن يجرد الإنسان من كل سلاح، فيستسلم قبل أن يدخل المعركة، ويرفع الراية البيضاء عندما تطلق الرصاصة الأولى»[1].

اقتراحات للتقارب بين الشيعة وأهل السنة

يقول الشيخ الغزالي:

«من الخلافات الموروثة، ما بين الشيعة وأهل السنَّة من

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية*، ص ١٤١ ـ ١٤٩.

فجوات، ملأتها الدماء في بعض الأعصار!! وزادها البهت والافتراء بين الحين والحين..! وما أنكر أن أسبابًا علمية وعاطفية تخفى أو تظهر وراء هذا الخلاف.. بيد أن للسياسة ومطالب الحكم أسبابًا أضرى وأنمى.

وقد تحدثت في كتب أخرى عن حقيقة ما بين الفريقين من الناحية العلمية، ولا مجال هنا لتفصيل أو زيادة.

وأعترف بأن لي أصدقاء من الشيعة أعزهم وأحبهم.

ومن أجل ذلك أعرض هذه المبادئ لدفع الأمور إلى طريق التصالح والإخاء:

أ- يتفق الفريقان في مؤتمر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد، والمصدر الأول للتشريع، وأن الله حفظه من الزيادة والنقص وكل أنواع التحريف، وأن ما يتلى الآن هو ما كان يتلوه النبي(ص) على أصحابه، وأنه ليس هناك في تاريخ الإسلام كله غير هذا المصحف الشريف.

ب ـ السنَّة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والرسول أسوة حسنة لأتباعه إلى قيام الساعة، والاختلاف في ثبوت سنَّة ما أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

ج ـ ما وقع من خلاف بين القرن الأول يدرس في إطار البحث العلمي والعبرة التاريخية، ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم، بل يجمد من الناحية العملية تجميدًا تامًا، ويترك حسابه إلى الله وفق الآية الكريمة: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا

كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة/ ١٣٤- ١٤١).

د- يواجه المسلمون جميعًا مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة - وهي كثيرة جدًا - وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

إنني لا أستطيع خلال سطور، أن أحل مشكلة تراخت عليها العصور، لكنني أستلفت النظر إلى أن أوهامًا وأهواء تملأ الجو بين الشيعة وجماعة المسلمين لا يسيغ العقلاء بقاؤها.

ولو وضع كل شيء في حجمه الطبيعي، وأغلقت الأفواه التي تستمرئ الوقيعة والإفك لتلاشت أنواع من الفرقة لا مساغ لوجودها.

وإني إذ أرسل هذه الكلمات إلى إخواني في كل قطر، أستشعر الخطر الذي يكتنف المسلمين هنا وهناك، وكثافة القوى التي تتجمع في هذه الأيام للإجهاز عليهم واستئصال شأفتهم.

لقد اتفقت أحزاب أهل الكتاب وأحزاب الوثنية، وأحزاب الماديين جميعًا على استئصال شأفتنا فإلى متى نتفرق؟

لماذا يتباعد أتباع المذاهب الفرعية؟

لماذا تجتر خلافات بين السلف وتمنح القدرة على الحياة والأذى؟»[1].

---

١ - *دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين*، ص ١٠٩-١١٠.

الاجتهاد ضرورة إسلامية وإنسانية

سدّ باب الاجتهاد عند أهل السنّة على مرّ التاريخ حوّل الفقه إلى شروح على حواش وحواش على شروح وجعل «عددًا كبيرًا من الفقهاء المتأخرين يحشّون مؤلفاتهم بنظرات غير سديدة وأقوال غير مفيدة، بل تصوّر بعضهم أمورًا مستحيلة، ووضع لها باسم الله أحكامًا ، وهي لا تزيد في قيمته المعنوية عن خيالات ألف ليلة وليلة.

ومن المستيقن أن أئمة المذاهب أبرياء من هذا اللغو، بل إنّ الرجال المعتدّ بهم في كل المذاهب يستعلون على هذه الهنات».

يقول الغزالي ذلك ثم يضرب أمثلة من التاريخ بشأن تبني الحكومات مذهبًا معينًا وإلزام القضاة به، حتى صار ذلك المذهب بديلاً عن الكتاب والسنّة أو كما يقول المراكشي في كتابه المعجب لدى حديثه عن تبني المذهب المالكي في المغرب والاندلس : «كثر ذلك حتى نُسي النظر في كتاب الله وسنة رسوله، فلم يكن أحدٌ يعتني بهما كلّ الاعتناء».

ويرى الشيخ الغزالي أن الاجتهاد في العبادات ممكن، وقد صار إلى هذا الرأي بعدما قرأ «رسالة للفقيه المعاصر الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود عنوانها: جواز الإحرام من جدّة لركّاب الطائرات والسفن البحرية، والعنوان يشير إلى الموضوع ، فإن مواقيت الحج حدّدتها السنّة، وقد جدّ في عالم المواصلات ما لا

معنى للتغابي عنه».

«أما فقه المعاملات الذي جمد ـ وهذه مصيبة ـ من عشرة قرون، فإن تجميده عجز في دنيا الناس، وقصور في دين الله على سواء.

والضرورات صارخة بأن الإسلام يحتاج اليوم إلى جهود ذكية دؤوب في الفقه الدولي والفقه الدستوري والفقه الإداري ، وإلى ملاحقة ما تجدد في عالم المال والتجارة وشؤون العمل والعمال...الخ».

«وقد تغيظت لأن بعض المنسوبين إلى العلم الديني حاول الاجتهاد، فذهب إلى دورات المياه ودور العبادة يستعرض عضلاته العلمية هناك... مسكينة أمتنا».

«ومع الاجتهاد لابدّ من الموافقات والمخالفات بين المجتهدين فإذا توافقنا فبها ونعمت، وإذا تخالفنا تعاونّا فيما اتفقنا عليه، وعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

أنا أشعر باعتزاز كبير يغمر نفسي وأنا أتحدث إلى هذا الشعب الإيراني المسلم الذي كتب بجهاده ودمه بطولته الفريدة تاريخ الإسلام من جديد وقدم إلى العالم تجسيداً حيًا ناطقًا لأيام الإسلام الأولى بكل ما زخرت به من ملاحم الشجاعة والإيمان.

الإمام الشهيد محمد باقر الصدر

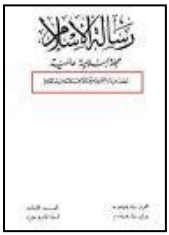

بين الشيخ الرشتي ودار التقريب[1]

• المذاهب الإسلامية متفقة على أن الله سبحانه ليس بجسم • من العجيب أن نهتم بالمسائل الكلامية إلى هذا الحدّ، ونعتبرها من أصول الدين!! • الأصل القاطع هو أن نصف الله بما وصف به نفسه • خلق الله للعقول حدًا لا يجوز أن تتجاوزه • كثير من المباحث الكلامية مما لا طائل تحته • منشأ الغلط في قضية أسماء الله وصفاته إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين: حق وباطل • الجميع متفقون على تنزيه الله عن الظلم والاختلاف إنما هو في معنى الظلم.

بعث الشيخ عبدالحسين الرشتي من النجف برسالة إلى دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة نُشرت في المجلد الاول من مجلة رسالة الإسلام بشأن عدم إمكان الاتفاق بين السنة والشيعة على الأصول، وأجابت الدار عن التساؤل.

«تسلمت من ساعي البريد العدد الأول من مجلة عنوانها من أسمى العناوين وأشرفها، ألا وهي ـ رسالة الإسلام ـ التي تبحث

١ - *رسالة الإسلام*، م ١، ص ٣٢٠ وما بعدها ، و ص ٤٢٩ وما بعدها.

عما يمكن التقريب به بين طوائف المسلمين، والتي تمثل آراء وأفكار جماعة التقريب الموقرة، نسأله تعالى أن يسدد خطواتها، وينفع الأمة الإسلامية بها، ويكلل مساعيها الشريفة بالنجاح إنه سميع الدعاء.

وتلوح «بفاكرتي» أمور أحب أن أبديها لهذه الجماعة المحترمة لكي أنوّرها بأجوبتهم، وأزداد خبرة واطلاعًا، وهي أن هذا الهدف الشريف الذي ترمي إليه هذه الجماعة صعب جدًا نيله، ووعر إلى الغاية تحصيله، حيث إن الاختلاف الواقع بين طوائف المسلمين هو في الأصول أيضًا لا في الفروع فقط، يرشدكم إلى ذلك أن الفرقة الإمامية الإثنا عشرية قائلون بأن اللّه ليس بجسم ولا جسماني، ويبلغنا أن جمًا غفيرًا من سائر طوائف المسلمين قائلون بالتجسيم، ويثبتون للّه لوازم الجسم، والفرقة الإمامية الإثنا عشرية قائلون بأن صفاته الكمالية عين ذاته وجودًا، وغير ذاته مفهومًا، ونسمع أن طائفة أخرى قائلون بتعدد القدماء التسعة: الذات وصفاته الكمالية الثمانية، وثامنها صفة البقاء، والفرقة الإمامية الإثنا عشرية قائلون بعدالة الواجب تعالى، ويبلغنا أن طائفة أخرى من المسلمين قائلون بصدور الظلم منه تعالى شأنه، فيا إخواني: هل يمكن مع هذا التقريب؟ وكيف يمكن؟».

جواب دار التقريب

وجوابنا على ذلك أننا نشكر فضيلة الشيخ الموقر على ماقدم

إلينا من ثناء وأمل ودعاء، ثم نقول لفضيلته:

إن هذه المسائل الثلاث التي تمثَّل بها محتاجة إلى بيان وتجلية، وعند وضوحها وتبين الأمر فيها على حقيقته، يظهر أن الخلاف فيها ليس خلافًا أصليًا يضر بالعقيدة الإسلامية أو يفسدها. بيان ذلك:

١- أن المسألة الأولى وهي كون اللّه تعالى ليس جسمًا ولا جسمانيًا أمر متفق عليه بين جميع الطوائف الإسلامية الحاضرة، ولا يختلف فيه مذهب عن مذهب، لا فرق في ذلك بين الإمامية وغيرهم، وكتبهم مثبتة له:

فمن ذلك ما جاء في *الجوهرة* وشرحها، وهي الكتاب الذي يدرس بالأزهر الشريف، قال صاحب الجوهرة:

وأنه لما ينالُ العدمُ مخالف، برهان هذا القدم

وقال شارحه الشيخ عبد السلام: «أي مخالفة ذاته وصفاته لكل ما يقوم به العدم ويجوز عليه من الحوادث، سواء في ذلك الحوادث السابقة كالأعدام الأزلية واللاحقة كالنعم الأخروية، والمخالفة لما ذكر عبارة عن سلب الجرمية والعرضية، أو الكلية والجزئية، ولوازمهما عنه تعالى، وإنما وجب له ما ذكر لأن الحوادث إما أجسام، وإما جواهر، وإما أعراض، والأعراض إما أزمنة، وإما أمكنة، وإما جهات، وإما حدود ونهايات، ولا شيء منها بواجب الوجود لما ثبت لها من الحدوث واستحالة القدم عليها».

وقال الشيخ الأمير في حاشيته عليه: «قوله ــ ولا شيء منها

بواجب الوجود ـ أشار إلى قياس من الضرب الأول من الشكل الثاني تقريره: الباري تعالى واجب، ولا شيء من الجسم والجوهر والعرض بواجب ـ ينتج أن الباري تعالى ليس جسمًا ولا جوهرًا ولا عرضًا ـ أفاده العلامة المَلّوي»[1].

وقال صاحب *الجوهرة* في موضع آخر:

وكل نص أوهم التشبيها أوّلْه أو فوّض ورُم تنزيها

قال شارحه المذكور:[2] «ولما قدم أنه سبحانه وتعالى وجبت مخالفته للحوادث عقلاً وسمعًا، وورد في القرآن والسنة ما يشعر بإثبات الجهة والجسمية له تعالى، وكان مذهب أهل الحق من السلف والخلف تأويل تلك الظواهر لوجوب تنزيهه تعالى عما يدل عليه ذلك الظاهر اتفاقًا من أهل الحق وغيرهم؛ أشار إلى ذلك مقدِّمًا طريق الخلف لأرجحيته، فقال (وكل نص) أي لفظ ناص ورد في كتاب أو سنة صحيحة (أوهم التشبيها) باعتبار ظاهر دلالته أي أوقع في الوهم صحة القول به، فمنه في الجهة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ ، وفي الجسمية: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ ﴿وَجاء ربك﴾ وحديث الصحيحين: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»، وفي الصورة: «إن اللّه خلق آدم على صورته»، وفي الجوارح: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

---

١ - ص ٦٥ من حاشية الأمير على شرح عبد السلام *للجوهرة* المطبوع بالمطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٤هـ.

٢ - ص ٩٤ - ٩٥ من المرجع نفسه.

(أوّله) وجوبًا بأن تحمله على خلاف ظاهره والمراد أوّله تفصيلاً معيِّنًا فيه المعنى الخاص، أُخذ من المقابل الآتي كما هو مختار الخلف من المتأخرين، فتؤوّل الفوقية بالتعالي في العظمة دون المكان، والإتيان بإتيان رسول عذابه أو رحمته وثوابه، وكذا النزول، وحديث إن اللّه خلق آدم على صورته، ضميره يرجع إلى الأخ المصرّح به في الطريق الأخرى التي رواها مسلم بلفظ: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن اللّه خلق آدم على صورته»، والمراد بالصورة الصفة، والوجه بالذات أو بالوجود ،واليد بالقدرة، وأشار لتنويع الخلاف بقوله (أوفوض) عِلمَ المعنى المراد من ذلك النص تفصيلاً إليه تعالى وأوّله إجمالا كما هو طريق السلف. (ورُمْ) أي اقصد، واعتقد مع تفويض عِلم ذلك المعنى (تنزيها) له تعالى عما لا يليق، فالسلف ينزهونه سبحانه عما يوهمه ذلك الظاهر من المعنى المحال، ويفوضون علم حقيقته على التفصيل إليه تعالى، مع اعتقاد أن هذه النصوص من عنده سبحانه، فظهر مما قررنا اتفاق السلف والخلف على تنزيهه تعالى عن المعنى المحال الذي دل عليه ذلك الظاهر وعلى تأويله وإخراجه عن ظاهره المحال وعلى الإيمان بأنه من عند اللّه، جاء به رسوله(صلى اللّه عليه وآله)، لكنهم اختلفوا في تعيين محمل له معنى صحيح وعدم تعيينه بناء على أن الوقف على قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أو على قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ ﴾.

ومن ذلك ما كتبه سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام في

عقيدته المشهورة[1] . التي كتبها للسلطان الأشرف، وقد جاء فيها قوله في وصف اللّه عزوجل: «ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدود مقدر، ولا يشبه شيئًا، ولا يشبهه شيء، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات، كان قبل أن كوّن المكان،ودبّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان... استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهًا عن الممارسة والاستقرار، والتمكن والحلول والانتقال، تعالى اللّه الكبير المتعال، عما يقول أهل الغيّ والضلال، بل لا يحمله العرش، بل العرض وحملته محمولون بلطف قدرته، مقهورون في قبضته».

وهذا الذي قاله عز الدين(رحمه الله) عن استواء اللّه تعالى على عرشه هو مايقول به ابن تيمية وابن القيم، وعلماء نجد في عصرنا الحاضر، وقد زخرت به كتبهم.

ومما جاء من ذلك قول ابن القيم في الرد على الجهمية:

«هؤلاء الجهمية ومَن وافقهم على التعطيل جحدوا ما وصف اللّه به نفسه، ووصفه به رسوله، من صفات كماله، ونعوت جلاله ، وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصّلوه من عند أنفسهم؛ فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام. فيلزم من إثباتها أن يكون اللّه جسمًا، هذا منشأ ضلال عقولهم، لم

---

١ - *طبقات الشافعية الكبرى*. ص ٨٦ ج ٥ المطبوع بالمطبعة الحسنية المصرية سنة ١٣٢٤هـ .

يفهموا من صفات اللّه إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبهوا اللّه في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطّلوه من صفات كماله، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات؛ فشبهوا أولاً وعطّلوا ثانيًا، وشبهوه ثالثًا بكل ناقص ومعدوم، فتركوا مادل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف اللّه به نفسه، ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، فإنهم أثبتوا للّه ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله(صلى اللّه عليه وآله) إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذي حذوه، فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون للّه ذاتًا لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك، ويثبتون ما وصف اللّه به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، لا تشبه صفاته صفات خلقه؛ فإنهم آمنوا بكتاب اللّه وسنة رسوله(صلى اللّه عليه وآله) ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك وتناقضوا، فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل وللّه الحمد والمنة، وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين».

وقد نقلنا هذا النص عن ابن القيم من كتاب *فتح المجيد*، ص ٣٩٣ الذي ألفه العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ شرحًا لكتاب *التوحيد* للإمام محمد بن عبد اللّه، وفي ذلك الكتاب يقول فضيلة الشيخ الشارح:

«ذكر الأئمة رحمهم اللّه تعالى فيما صنفوه في الرد على نفاة

الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم أقوالَ الصحابة والتابعين. فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب *العلوّ* وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أم سلمة زوج النبي(صلى الله عليه وآله) أنها قالت في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قالت: «الاستواء مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر»، رواه ابن المنذر واللالكائي وغيرهما بأسانيد صحاح. قال: وثبت عن سفيان بن عيينة رحمه اللّه تعالى أنه قال: لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن: كيف الاستواء؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن اللّه الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق. وقال ابن وهب: كنّا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد اللّه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك (رحمه الله) وأخذته الرُّحَضاء وقال: الرحمن على العرش استوى، كما وصف نفسه ولا يقال كيف و«كيف» عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه. رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب، ورواه عن يحيى بن يحيى أيضًا، ولفظه قال الاستواء غير مجهول؛ والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. قال الذهبي: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء للّه، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية».

ومن هذا كله يتبين أن لا خلاف على الحقيقة، لأن الجميع متوافقون على نفي الجسمية عنه تعالى وتنزيهه عن مشابهة الحوادث، كما أنهم متوافقون على الإيمان بما جاء في كتابه

الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إلى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، وعلى الإيمان أيضا بما جاء من قوله: «ليس كمثله شيء»، وكل ما في الأمر: أنهم اختلفوا في الفهم والوسيلة إلى التنزيه، وإذن فالقول بأن هذا خلاف في الأصل يترتب عليه بذاته إيمان أو كفر ليس صحيحًا، واللّه المستعان.

أما المسألتان الباقيتان فهما ما ذكره الأستاذ بقوله:

١- «والفرقة الإمامية الإثنا عشرية قائلون بأن صفاته الكمالية عين ذاته وجودًا، وغير ذاته مفهومًا، ونسمع أن طائفة أخرى قائلون بتعدد القدماء التسعة: الذات وصفاته الكمالية الثمانية، وثامنها صفة البقاء».

٢- «والفرقة الإمامية الإثنا عشرية قائلون بعدالة الواجب تعالى، ويبلغنا أن طائفة أخرى من المسلمين قائلون بصدور الظلم منه تعالى شأنه».

وعجيب جدًا أن يهتم الأستاذ الجليل بهذه المباحث الكلامية، ويوليها هذا الشأن من العناية، وينظر إليها على أنها عقبة كؤود في سبيل اجتماع المسلمين وائتلاف قلوبهم، وهو يعلم كما يعلم الناس جميعًا، أن أصحاب رسول اللّه(صلى اللّه عليه وآله) كانوا عنها معرضين، وبغيرها من العلم والعمل مشغولين، ولم يطعن أحد في كمال إيمانهم، ولا زعم زاعم بأنهم لقوا ربهم، وقد فرّطوا فيما أمرهم أن يعتقدوه ويدينوا به، وأعجب من ذلك أنه

يصف هذه المسائل بأنها «من الأصول لا من الفروع».

إن الأصل القاطع في مسألة الصفات، الذي يتحقق به الإيمان، ولا يكلف اللّه أحدًا من عباده بما وراءه؛ هو أن يوصف اللّه تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به نبيه(صلى اللّه عليه وآله) نفيًا وإثباتًا ، فنثبت له ما أثبته لنفسه، وننفي عنه مانفاه عن نفسه ، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وقد جاء بذلك كتاب اللّه جل شأنه واضحا غير معقد: ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ،هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ﴿ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾إلى غير ذلك من الآيات التي جاءت بإثبات صفات للّه تعالى، وإسناد أفعال إليه، وآمن بها السلف الصالح كما جاءت دون إلحاد في أسمائه وصفاته، أو تلاعب وعبث بالخوض في كيفية ثبوتها، أو محاولة إدراك كنهها، وهل هي زائدة على ذاته تعالى، أو هي عين ذاته، لأن صفات اللّه كذاته، مما لا سبيل إلى معرفته معرفة كنه وحقيقة من طريق الفكر والعقل، فقد خلق اللّه العقول وأعطاها قوة، وجعل لها حدًا تقف عنده، فإذا سلطت على ماهو خارج عن طورها، اضطربت وركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء.

هذا الأصل كان سائدًا في المؤمنين على عهد سلفنا الصالح، فكانوا عليه متوافقين، وعنده واقفين، فلما عُقدت مناظرات الكلام، ومجادلات أهل التفلسف، نبتت مباحث الذات والصفات، من أن الأخيرة عين الأولى أو غيرها، وأن الاسم عين المسمى أو غيره، وأن صفات اللّه قديمة كقدمه أو بقدمه، وأنه عليم بعلم، وقدير بقدرة، أو عليم بلا علم وقدير بلا قدرة، وأن من لوازم هذا أو ذاك تعدد القدماء أو التعدد غير لازم، وظاهرٌ أن هذا كله خوض فيما لا طائل تحته، ولم يكلفنا اللّه به، وأن المختلفين فيه لو حرّروا محلّ النزاع لوجدوا أنهم متفقون وأن الأمر أيسر وأقرب من أن يتنازعوا فيه هذا التنازع، ويضطربوا في بيدائه هذا الاضطراب.

وإليكم أيها القراء نسوق تحقيقًا لابن القيم يوضح به منشأ

هذا الاختلاف، فقد ذكر في كتابه *بدائع الفوائد* بعد أن أوضح الفرق بين الاسم والمسمى ما نصه:

«وإذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى فبقى هنا التسمية وقد اغترّ بها من قال باتحاد الاسم والمسمى، والتسمية عبارة عن جعل المسمِّي ووضعه الاسمَ للمسمّى، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلي ووضعه الحليةَ على المحلَّى، فهنا ثلاث حقائق: اسم، ومسمًّى، وتسميه، كحلية، ومحلّى، وتحلية، وعلامة، ومعلم، وتعليم، ولا سبيل إلى جعل اللفظين منها مترادفين على معنى واحد، لتباين حقائقها، فإذا جعل الاسم هو المسمى مترادفين على معنى واحد، لتباين حقائقها، فإذا جعل الاسم هو المسمى بطل واحد من هذه الحقائق الثلاث ولابد، فإن: قيل ما شبهة من قال باتحادهما؟ فالجواب: شبهته أشياء، منها أن اللّه تعالى هو وحده الخالق، وما سواه مخلوق، فلو كانت أسماؤه غيره لكانت مخلوقة، ويلزم ألا يكون له اسم في الأزل ولا صفة، لأن أسماءه صفات، وهذا أعظم ما قاد متكلمي الإثبات إلى القول باتحادهما، والجواب عن كشف هذه الشبهة: أن منشأ الغلط في هذا الباب من إطلاق ألفاظ مجملة محتملة لمعنيين حق وباطل، فلا ينفصل النزاع إلا بتفصيل تلك المعاني، وتنزيل ألفاظها عليها، ولا ريب أن اللّه تعالى لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الكمال المشتقة أسماؤها منها، فلم يزل بصفاته وأسمائه، وهو إله واحد له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وصفاته وأسماؤه داخلة في مسمى اسمه، وإن كان لا يطلق على الصفة أنها إله يخلق ويرزق،

فليست صفاته وأسماؤه غيره، وليست هي نفس الإله، وبلاء القوم من لفظه «الغير» فإنها يراد بها معنيان: أحدهما المغاير لتلك الذات المسماة باللّه، وكل ما غاير اللّه مغايرة محضة بهذا الاعتبار فلا يكون إلا مخلوقًا، ويراد بها مغايرة الصفة للذات إذا جردت عنها، فإذا قيل علم اللّه وكلام اللّه غيره، بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام ؛ كان المعنى صحيحًا، ولكن الإطلاق باطل، فإذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره، كان باطلاً لفظا ومعنى»[1] .

ومن هذا يتبين أن خلاف القوم ليس بذي خطر بعد اتفاقهم على الإيمان بما وصف اللّه به نفسه، وعلى أنه ليس للّه صفات مغايرة له يطلق عليها أنها إله يخلق ويرزق، أو يتصوّر انفصالها عن الذات حتى يقال بقدمها أو حدوثها.

وقد بيّنا مرارًا أن جميع المسلمين، بل جميع العقلاء متفقون على أن اللّه سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال، منزّه عن جميع صفات النقص، لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا في الكمال والنقص ، فترى أحدهم يثبت للّه ما يظنه كمالاً، وينفي الآخر عين ما أثبته هذا لظنه إياه نقصًا. وفي ذلك يقول عز الدين ابن عبد السلام في كتابه: *قواعد الأحكام* المعروف *بالقواعد الكبرى*:

---

١ - ص ١٠١ ، ١٠٢ من الجزء الأول من كتاب: *لوائح الأنوار البهية* للسفاريني طبع مجلة المنار سنة ١٣٢٣هـ، نقلا عن *بدائع الفوائد* لابن القيم.

«اتفق المسلمون على أن اللّه موصوف بكل كمال، بريء من كل نقصان، لكنهم اختلفوا في بعض الأوصاف، فاعتقد بعضهم أنها كمال فأثبتها له، واعتقد آخرون أنها نقصان فنفوها عنه، ولذلك أمثلة:

أحدها: قول المعتزلة: إن الإنسان خالق لأفعاله، لأن اللّه لو خلقها ثم سبَّه عليها ولامه: لمَ فعلها، مع أنه لم يفعلها، وعذبه عليها مع أنه لم يوجدها، لكان ظالمًا له، والظلم نقصان، وكيف يصح أن يفعل شيئًا ثم يلوم غيره عليه، ويقوله له: كيف فعلته، ولم فعلته؟! وأهل السنة يقولون: إن اللّه خالق لأفعال الإنسان لأن الإنسان لو خلقها لما قدر الإله على خلقها، ونفي القدرة عيب ونقصان، وليس تعذيبُ الرب على ما خلقه بظلم بدليل تعذيبه للبهائم والمجانين والأطفال، لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء، والقول بالتحسين والتقبيح باطل، فرأوا أن يكون كماله في خلق أفعال العباد، ورأوا أن تعذيبهم على مالم يخلقوه جائز من أفعاله غير قبيح.

«ومن الأمثلة أيضا: إيجاب المعتزلي على اللّه سبحانه وتعالى أن يثيب الطائعين كيلا يظلمهم والظلم نقصان، وقول الأشعري: ليس ذلك بنقص إذ لا يجب عليه حق، ولو وجب عليه حق لغيره؛ لكان في قيده والتقيد بالأغيار نقصان.

ومنها قول المعتزلة بأن اللّه يريد الطاعات وإن لم تقع، لأن إرادتها كمال، ويكره المعاصي وإن وقعت لأن إرادتها نقصان،

وقول الأشعري: لو أراد مالا يقع لكان ذلك نقصًا في إرادته لكلالها عن النفوذ فيما تعلقت به ولو كره المعاصي مع وقوعها، لكان ذلك كلالاً في كراهيته، وذلك نقصان... الخ»[1].

ويقول عز الدين في موضع آخر:

«إن اللّه كلّف الخاصة أن يعرفوه بالأزلية والأبدية، والتفرد بالإلهية، وأنه حي، عالم، قادر، مريد، سميع، بصير، متكلم، صادق في أخباره، وكلّف العامة أن يعتقدوا ذلك لعسر وقوفهم على أدلة معرفته، فاجتزى منهم باعتقاد ذلك وأما كونه عالمًا بعلم، قادرًا بقدرة، فإنه مما يلتبس، وقد اختلف الناس فيه لالتباسه، وكذلك القول في قدم كلامه، وفي أن ما وصف به نفسه من الوجه واليدين والعينين صفات معنوية قائمة بذاته أو هي متأوَّلة بما يرجع إلى الصفات فيعبَّر بالوجه عن الذات، وباليدين عن القدرة، وبالعينين عن العلم، وكذلك اختلف الناس: أله جهة أم لا جهة له، بما يطول النزاع فيه، ويعسر الوقوف على أدلته، وقد تردّد أصحاب الأشعري رحمهم اللّه في القدم والبقاء: أهما من صفات السلب أم من صفات الذات، وقد كثرت مقالات الأشعري حتى جمعها ابن فورك في مجلدين، وكل ذلك مما لا يمكن تصويب للمجتهدين فيه، بل الحق مع واحد منهم والباقون

---

١ - ص ١٩٠ من الجزء نفسه.

مخطئون خطأ معفوًا عنه، لمشقة الخروج منه، والانفكاك عنه»[1].

ويقول في موضع ثالث:

«وقد رجع الأشعري (رحمه الله) عند موته عن تكفير أهل القبلة، لأن الجهل بالصفات ليس جهلاً بالموصوفات، وقد اختُلف في عبارات، والمشار إليه واحد، وقد مَثَّل ما ذكره (رحمه الله) بمن كتب إلى عبيده يأمرهم بأشياء، وينهاهم عن أشياء، فاختلفوا في صفاته مع اتفاقهم على أنه سيدهم، فقال بعضهم: هو أكحل العينين، وقال آخرون: هو أزرق العينين، وقال بعضهم: هو أدعج العينين، وقال بعضهم: هو رَبْعة، وقال آخرون: هو طُوال، وكذلك اختلفوا في لونه أبيض أو أسود أو أسمر أو أحمر، فلا يجوز أن يقال: إن اختلافهم في صفته اختلاف في كونه سيدهم المستحق طاعتهم، فكذلك لا يكون اختلاف المسلمين في صفات الإله اختلافا في كونه خالقهم وسيدهم المستحق لطاعتهم وعبادتهم، وكذلك اختلف قوم في صفات أبيهم مع اتفاقهم على أنه أصلهم الذي خلقوا منه، ولا يكون اختلافهم في أوصافه اختلافًا في كونه منشأهم الذي نشأوا عنه، وخلقوا منه»[2].

ويقول الإمام محمد عبده في *رسالة التوحيد*: «... وأما الفكر في ذات الخالق فهو طلب للاكتناه من جهة، وهو ممتنع على

---

١ - ص ١٩٢ من الجزء الأول من *القواعد الكبرى*.

٢ - ١٩١من الجزء المذكور.

العقل البشري لما علمت من انقطاع النسبة بين الوجودين، ولاستحالة التركيب في ذاته، وتطاول إلى ما لا تبلغه القوة البشرية من جهة أخرى، فهو عبث ومهلكة : عبث لأنه سعي إلى مالا يدرك، ومَهلكة لأنه يؤدي إلى الخبط في الاعتقاد، لأنه تحديد لما لا يجوز تحديده، وحصر لما لا يصح حصره.

ولا ريب أن هذا الحديث وما أتينا عليه من البيان، كما يأتي في الذات من حيث هي؛ يأتي فيها مع صفاتها، فالنهي واستحالة الوصول إلى الاكتناه شاملان لها، فيكفينا من العلم بها أن نعلم أنه متصف بها، وأما ما وراء ذلك فهو مما يستأثر هو بعلمه ولا يمكن لعقولنا أن تصل إليه، ولهذا لم يأت الكتاب العزيز وما سبقه من الكتب، إلا بتوجيه النظر إلى المصنوع ليُنفذ منه إلى معرفة وجود الصانع وصفاته الكمالية، أما كيفية الاتصاف، فليس من شأننا أن نبحث فيها.

فالذي يوجبه علينا الإيمان هو أن نعلم أنه إله موجود لا يشبه الكائنات، أزلي أبدي حي عالم مريد قادر، متفرد في وجوب وجوده، وفي كمال صفاته، وفي صنع خلقه، وأنه متكلّم سميع بصير، وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع بإطلاق أسمائها عليه.

أما كون الصفات زائدة على الذات. وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية، وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات، ونحو ذلك من الشؤون التي اختلف فيها النظار، وتفرقت فيها المذاهب، فمما لا يجوز

الخوض فيه، إذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل إليه، والاستدلال على شيء منه بالألفاظ الواردة ضعف في العقل، وتغرير بالشرع، لأن استعمال اللغة لا ينحصر في الحقيقة، ولئن انحصر فيها، فوضع اللغة لا تراعى فيه الوجودات بكنهها الحقيقي، وإنما تلك مذاهب فلسفة إن لم يصل فيها أمثلهم فلم يهتد فيها فريق إلى مقنع. فما علينا إلا الوقوف عندما تبلغه عقولنا، وأن نسأل اللّه أن يغفر لمن آمن به وبما جاء به رسله، ممن تقدمنا من الخائضين»[1].

ويقول المحقق الدواني في *شرح العقائد العضدية*:

«اعلم أن مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الأصول التي يتعلق بها تكفير أحد الطرفين. ولا أرى بأسًا في اعتقاد أحد طرفي النفي والإثبات في هذه المسألة».

وعلق عليه العلامة الأمير بقوله: «قلت: ولو اختير الوقف لكان أنسب وأسلم من افتراء الكذب على اللّه تعالى، وماذا على الشخص إذا لقى ربه جازمًا بأنه على كل شيء قدير، مقتصرًا عليه، مفوضًا علم ما وراء ذلك إليه؟ لكن اشتهر عند الناس كلام الجماعة على حد قول الشاعر:

وهل أنا إلا من غُزيّة إن غَوَتْ غَويتُ وإن تُرشَدْ غُزية أرشدِ[2]

هذه خلاصة القول في أمر الصفات، وخلاف العلماء فيها،

---

١ - ص ٥١ ، ٥٢ من *رسالة التوحيد*.

٢ - ص ٨٠ من *حاشية الأمير على شرح عبد السلام على الجوهرة*، وهو الكتاب الذي يدرس لطلاب القسم الثانوي بالأزهر.

والأصل الذي يرجع إليه المختلفون، وليست مسألة انتفاء الظلم عنه تعالى بالتي تحتاج إلى مسلك غير هذا المسلك، فقد جاءت النصوص بذلك واضحة لا لبس فيها: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ ﴿ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ ﴿ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.

فهذه الآيات الواضحات تنفي عن اللّه سبحانه وتعالى أن يريد الظلم أو يظلم أحدًا من العالمين، ولكن أهل الجدل اختلفوا في مسائل شغلوا بها أنفسهم، ونبز بعضهم بعضا بلوازمها، فمنهم من قال بجواز تعذيب الطائع، وإثابة العاصي، ومنهم من قال بامتناع ذلك، والأولون يعلّلون قولهم بأن اللّه مالك الملك، وخالق الخلق، والعبيد لا يستحقون عنده شيئًا فلا يكون منعهم ظلمًا، والآخرون يقولون: إن إثابة المحسن وعقاب المسيء، أمر حسن في ذاته موافق للحكمة فهو واجب عليه تعالى، فيمنعون الخروج على ذلك فعلاً، لأنه ظلم وقد نفى اللّه الظلم عن نفسه وإن أجازوه عقلاً، لأن اللّه لا يتمدح بنفيه إلا إذا جاز عليه.

فالجميع متّفقون على تنزيه اللّه تعالى عن الظلم، بعضهم عقلاً وشرعًا، وبعضهم شرعًا وفعلاً، وإنما اختلفوا في الظلم نفسه: هل هو التصرف في ملك الغير، أو هو مخالفة ما تقتضيه الحكمة ولو من المالك في ملكه، ولن يستطيع أحد أن ينكر أن تصرف اللّه

تعالى في الخلق والناس بالإيجاد والإعدام، والإسعاد والإشقاء، وغير ذلك تصرف في ملكه، لا يخالف في ذلك معتزلي أشعريًا، ولا إمامي سنيًا، كما لا يستطيع أحد أن ينكر أن جميع أفعال اللّه، صادرة عن حكم، مجانبة للهو والعبث، وإذن فالذي حمل على التقاذف والتهاتر، ليس هو اختلاف القوم فيما ينبغي للّه من صفات الكمال، ولكن رغبة النبز واللمز عن طريق الإلزام، ولذلك ينفر سمعي، وينبو ذوقي، إذا سمعت قائلا يقول: إن جماعة من المسلمين قائلون بصدور الظلم منه تعالى، فإن ذلك مبناه على التلاعب بالألفاظ في ميدان الحجاج والجدال للتشنيع على الخصوم، يفسر أحدهم الظلم بتفسير، ويحكم على فعل من الأفعال بأنه ظلم، ويقول لصاحبه أنت تنسب هذا العمل للّه فأنت إذا تنسب إليه الظلم، ولو كان منصفًا لعلم أن صاحبه لا يقول بذلك، وينظر إلى الفعل نفسه نظرة أخرى فلا يراه ظلمًا، وإنما يراه عدلاً، ولذلك ينسبه إلى اللّه، ولو رآه ظلمًا كما رآه صاحبه لما نسبه إلى اللّه، وحاشا أن يجرؤ مؤمن على نسبة الظلم إلى اللّه، تعالى اللّه عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وفي هذا المقام يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فيما نقله عنه الأستاذ الشيخ رشيد:

«وللعابثين بالكتاب وبعقائد الناس كلام في الآية (يريد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أقاموه على أساس مذاهبهم، فمن ذلك قول المعتزلة: انه يجوز الظلم على اللّه تعالى عقلاً،

لأنه لو لم يكن جائزًا لما تمدح بنفيه، ورد عليهم الآخرون بأنه تعالى نفي عنه نفسه السِّنَة والنوم، وأنتم متفقون معنا على استحالة ذلك عليه، فردّوا عليهم بأن نفي الظلم كلام في أفعاله، ونفي النوم كلام في صفاته، وفرق بينهما. وهذا كلّه من الجدل الباطل والهذيان، وإدخال الفلسفة في الدين بغير عقل ولا بيان. ومثله قول بعض المنتمين إلى السنة بجواز تخلف الوعيد ولا يعد ذلك ظلمًا، لأن الظلم لا يتصور منه تعالى، وبلغ بهم الجهل من تأييد هذا الرأي إلى تجويز الكذب على اللّه تعالى، وجعلوا هذا نصرًا للسنة، والذي قذف بهؤلاء في هذه المهاوي هو الجدل والمراء لتأييد المذاهب التي تقلدوها، والتزام كل فريق تفنيدَ الآخر وإظهارَ خطئه لا طلب الحق أينما ظهر، ولهم مثل هذه الجهالات، الكثيرُ البعيدُ عن كتاب اللّه ودينه، كقول المعتزلة إن بعض الأشياء حسن لذاته وبعضها قبيح لذاته، ويجب على اللّه تعالى أن يفعل الأصلح من الأمرين الجائزين، وكقول بعض من لم يفهم مسألة أفعال العباد بما يدل على جواز العبث على اللّه تعالى، وكل هذا جهل. والذي يفهم من الآية أن هناك حقيقة ثابتة في نفسها وهي الظلم وأن هذا لا يقع من اللّه تعالى، لأنه من النقص الذي يتنزه عنه، وهو ذو الكمال المطلق والفضل العظيم»[1].

أما بعد: فإنا ما أطلنا الكلام في هذا الموضوع، ولا أثبتنا فيه

---

١ - الجزء الخامس من *تفسير المنار* ص ١٠٥.

ما أثبتنا من النصوص والنقول، لنؤيد رأيًا على رأي، أو لننصر فريقًا على فريق، وإنما فعلنا ذلك لنبين للناس أن هذه المسائل وأشباهها ليست من أصول الدين التي يحكم فيها بالكفر في جانب، والإيمان في جانب، وإنما هي معارف نظرية، ومسائل كلامية، ومن الخير للمسلمين - ولاسيما في هذا العصر الذي اشتغل الناس فيه بما ينفعهم من العلم والعمل في كل أمة - أن يتخففوا منها، بل يتخلّوا عنها، ويوسعوا مداركهم وعقولهم عن الارتطام في خلافات بسببها، وليعلموا أن اللّه ليس بسائلهم يوم يعرضون عليه عن الجزء الذي لا يتجزأ، ولا عن الخلأ والملأ والجوهر والعرض ، وهل يبقى العرض زمانين أولا يبقى، وهل القدرة مع الفعل أو قبله، وهل الصفات زائدة على الذات أو ليست زائدة، وهل الاسم عين المسمى أو غيره. فإن كان سائلاً عن ذلك أحدًا من خلقه، ومستخبرًا إياه خبره، فليسعنا ما يسع أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وابن عباس وابن عوف وابن مسعود وغيرهم من أصحاب رسول اللّه(صلى اللّه عليه وآله)، وخير لنا أن نحشر معهم بذلك جاهلين، من أن نحشر مع النظّام أو الجاحظ أو القفّال أو الرازي أو الأشعري أو النسفي أو غيرهم ولو كانوا أئمة في العلم والتقى، وسبحان من لا تدركه العقول، ولا تحيط به الأوهام والظنون.

صوت الإنسانية

فريز حسن سمّوني

بمناسبة انعقاد المؤتمر السادس للتقريب بين المذاهب الإسلامية بعنوان «المنهج الإسلامي في بناء وحدة الأمة الإسلامية» بدمشق ٢٠١٠/٣/١٤.

آمنتُ بالدّين حبّاً بل معاملةً ... بَل إنَّهُ في صميم القلب وجدانُ
آمنتُ بالدّين أخلاقاً تهذِّبنا ... وغير ذلك ما للدِّين عنوانُ
الله عرَّفه من قبل في صُحُف ... من ثمَّ أحكم بالآيات قُرآنُ
فهو المعاني التي نحتاجها أدبّاً ... وحين نسمو إليها يصلحُ الشّأنُ
وهو التّعايش بين العالمين لما ... فيه وئام وإصلاحٌ وعمرانُ
ما أروع القِسَّ والعلامة أتّفقا ... إذ يقتدي بهما للهدي فتيانُ
إن في الكنيسة أو في المسجد التقيا ... على معان بها للوُدِّ بنيانُ
الدّين ساوى الورى في ما يحرِّرهم ... وما مِن النّاس أسيادٌ وعبدانُ
الدّين كالبحر لم يحصر على طرف ... منه تجلَّت لكلِّ الأرض شطآنُ
فحواهُ ما قدَّم الإنسان من عمل ... راق يكون به فضل وإتقانُ
وما على أحد لوم بمعتقد ... كما يشاءُ، فللأزهار ألوانُ
فلنحترم كلَّ ذي رؤيا على سبل ... إذ لا يحيط قلوب النّاس إنسانُ
إذا اختلفنا قليلاً في مذاهبنا ... فما هنالكَ عند البعض نقصانُ
قد اتّفقنا على أنّ الكتاب هدىً ... فلنتَّفق أنَّنا في الأصل إخوانُ

ولنزجر الفتنة العمياءَ إن نشبت ... ألا يفجَّر بالتَّحريض بركانُ

ومن يفرِّق صفوف المسلمين كما ... يبدو على شاشة التِّلفاز شيطانُ

لا بُورِكَ التَّابعُ المأجور داعيةً ... يدعو فيتبعهُ شيبٌ وشبّانُ

لا بُورِكَ المرء شاةً يستجرُّ لمن ... يُضِلُّهُ للمهاوي، وهو حيرانُ

كلُّ المذاهب عند الله واحدةٌ ... إن أخلص العبد والأخلاق ميزانُ

ما ذنب من ولدوا في بيئة فرضت ... عليهم أن يكونوا كيفما كانوا..؟!

ألا يكفُّ ذوو التَّكفير عن فتن ... إذا أثيرت فأحقاد ونيرانُ..؟!

مئات أقنية قد وظِّفت علناً ... حتى تهدَّم في الإسلام أركانُ..!!!

من المموِّل من..؟ والمستفيدُ..؟ ومن ... يجني..؟ومن هم عبابيدٌ وأعوانُ..؟

عفو الجماهير إن أسرفتُ منتفضاً ... ففي المشاعر آلام وأحزانُ

قد داهمتنا الفضائيّات حاملةً ... سُمّاً، فذلَّت لضعف العقل آذانُ

وإنّ أعظم أمر بات يؤسفنا ... لمّا تساقُ لذبح الفكر قطعانُ

الله ما استخلف الإنسان طاغية ... وما على النّاس بعد الله سلطانُ

ولم يكن لنبيّ أن يحاسبهم ... لكن يبلِّغُ، والتَّنزيلُ تبيانُ

ومن تجاوز قول الحقِّ مرتزقاً ... فكُلُ ما عندهُ زورٌ وبهتانُ

واجب المؤتمر الاسلامي تعبئة طاقات المسلمين

لدى استقباله عدد من كبار المسؤولين في البلاد ، دعا قائد الثورة الاسلامية منظمة المؤتمر الاسلامي الى تعبئة طاقات العالم الإسلامي لمواجهة الاعتداءات الصهيونية والدفاع عن فلسطين ومقدساتها ، مشيرًا الى انشغال العالم الاسلامي بأمور هامشية ونزاعات داخلية لا قيمة لها تاركين العدو الصهيوني يعبث بالأرض المقدسة ويرتكب أبشع الجرائم بحق الشعب الفلسطيني في غزة والضفة الغربية وتهجيرهم عن مواطنهم الأصيلة وطمس المعالم الاسلامية وتهويدها .

واكد أن العالم الاسلامي يتمتع بالثروات والمواقع الجيوستراتيجية وبإمكانه الضغط على الغرب ليحد من الأطماع والتوسعات الصهيونية.

الشهيد المرجع آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (قدس سره)

تطل علينا ذكرى استشهاد السيد المرجع الشهيد محمد باقر الصدر وأخته العلوية العالمة الشهيدة بنت الهدى (آمنة حيدر الصدر) رضوان الله عليهما.

ولد الشهيد المرجع السيد محمد باقر الصدر(قدس سره) في مدينة الكاظمية المقدسة في ٢٥ ذي العقدة سنة ١٣٥٣هجري الموافق ١٩٣٣ ميلادي. ينتمي نسبه الشريف إلى الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام). والده السيد حيدر الصدر (قدس سره) من نوابغ العلماء، ووالدته الفاضلة إبنة العلامة الكبير عبد الحسين آل ياسين (قدس سره). توفى والده وعمره (٤) سنوات، فتولت والدته تربيته، وفي ريعان صباه تلقى العلوم الإسلامية على يد أخيه السيد إسماعيل الصدر. عندما أتم دراساته التمهيدية في الكاظمية المقدسة هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٩٤٥ لمواصلة دراساته العليا وكان عمره الشريف ١٣ سنة، ودرس على يد كبار مراجع التقليد ونال درجة الاجتهاد وهو دون العشرين من عمره. أوجد مدرسة إسلامية تتمتع بالشمولية والأصالة والعمق والحركة الحيوية والتجديد والعالمية. وفي عام ١٩٥٧ أسس حزب الدعوة الإسلامية (حزب الشهداء والتضحية والفداء) بالتنسيق مع ثلة من العلماء الأعلام والمثقفين الرساليين لإيجاد الأداة الحركية القادرة على شد الأمة للإسلام وإقامة حكم الله في الأرض. كان المبادر الأول في تأسيس جماعة العلماء وذلك في عام ١٩٥٨م لنشر الوعي الإسلامي والسياسي في أوساط الحوزة العلمية.

ليس من دأب الشهيد المرجع الصدر العبقري والفيلسوف أن تحوم أبحاثه العلمية حول سطوح البحث والدراسة بعيدة عن

العمق، بل كان يغور إلى أعماقها حتى تبدو له خفاياها بحيث لا يترك مجالاً لأي باحث من أن يزيد عليه تحقيقًا، ولم يكن مترددًا في ما يرتبه من نتائج أو ما يختار من حلول وآراء، وكان يمتلك قدرة فائقة على سبر غور الأبحاث والدراسات العلمية التي بحثها أو كتبها، وكان (رضوان الله عليه) حينما يقرأ أو يكتب أو يفكر ينقطع عن المحيط الذي يعيش فيه وينسجم مع الحالة التي هو فيها إنسجامًا بنحو لا يشعر بما حوله. ولقد نقل عن زوجته العلوية الصابرة أم جعفر تقول: "حينما يستغرق السيد الشهيد محمد باقر (قدس سره) في المطالعة أو التفكير ينسى كل شئ حتى طعامه فأراني مضطرة في آخر الأمر إلى قطع تأمله أو مطالعته فأقول له: لقد قرب وقت الظهر ولا شئ عندنا، عندها يقوم ليشتري بنفسه ما نحتاج إليه".

ومن الطريف أنه كان يستغرق أحياناً في التفكير المستمر طوال اليوم والليل ولا ينقطع إلا عند النوم، ثم إنه عندما كان يستيقض يبدأ من نفس النقطة التي انتهى إليها عند النوم، وذلك ما يفسر قدرته الخارقة على استيعاب جميع الأمور والأبحاث. هذه الحالة هي إحدى خصائص السيد الشهيد الصدر (قدس سره)، ولذلك فإن معظم من عاش وعاصر الشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) يعرف أن كل مؤلفاته كتبها مرة واحدة وبلا إعادة نظر فيها، فهو لا يعرف ما نسميه بـ (المسودة والمبيضة).

حتى أخطر كتبه وأدقها وأصعبها وهو كتاب *الأسس*

المنطقية للاستقراء كتبه مرة واحدة.

وهذا أمر يثير الدهشة فقد كانت سرعته في الكتابة عجيبة.. قلم يلتهم الصفحات فيملأها نورًا وعلمًا وحكمةً. فجميع أبحاثه ودراساته (رضوان الله عليه) ترى فيها إضافة إلى الدقة والعمق مع السعة والشمول، منهجية رائعة في طريقة العرض. إن عظمة شخصية الشهيد الصدر(رضوان الله عليه) من خلال إنبهار رؤساء دول وحكومات أو شخصيات كبيرة بسبب العمق والعبقرية التي عرف بها من خلال كتاباته وتأليفاته التي تبهر العقول في عمقها وأصالتها، ومن مؤلفاته القيمة:

"*المدرسة الإسلامية*" وهو حلقة الوصل بين "فلسفتنا" و "إقتصادنا". ألفه وعمره الشريف ٢٦ سنة، وهو دراسة موضوعية لأهم الأسس الفلسفية.

وكتاب *إقتصادنا* : ألفه وعمره الشريف ٢٧ سنة ويشتمل على جزئين في المادية التاريخية وقوانين الديالكتيك، ووضع الهيكل العام للإقتصاد الإسلامي.

ومن مؤلفاته الأخرى:

الأسس المنطقية للإستقراء، بحوث في شرح العروة الوثقى، دروس في علم الأصول، الفتاوي الواضحة، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، بحث حول الإمام المهدي (عج)، الإسلام يقود الحياة، فدك في التاريخ، الفكر في علم الأصول، البنك اللاربوي في الإسلام...

- وكتب أخرى قيمة. وأن بعض آثاره قد سرقها البعثيون الجلادون الجناة ومنها: كتاب قد ألفه في تحليل الفكر البشري حول فلسفة المعرفة، ومدونات قيمة أخرى.

إن كل من عاش وعاصر السيد الشهيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) يستطيع أن يدرك بسهولة أن التضحية حالة متجذرة في أعماق روحه الزكية بعد أن روى شجرة الإسلام بدمه الطاهر وسجل أبهى صور التضحية والفداء من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، ومقارعة عصابات الجريمة والقتل الجماعي في عراق المقدسات.

استشهد السيد محمد باقر الصدر(رضوان الله عليه) بشكل فجيع مع أخته العلوية الطاهرة (بنت الهدى)، بعد أن أمضى عشرة أشهر في الإقامة الجبرية، ثم تم إعتقاله في يوم ١٩جماد الأول ١٤٠٠هجري الموافق ١٩٨٠/٤/٥ ميلادي. وبعد ثلاثة أيام من الإعتقال والتعذيب الشديد تم إعدامه مع أخته العلوية الطاهرة بنت الهدى وكان عمره الشريف ٤٧ سنة وفي مساء يوم ١٩٨٠/٤/٩ ، وفي حدود الساعة التاسعة أو العاشرة مساء قطعت السلطة الدموية التيار الكهربائي عن مدينة النجف المقدسة وفي ظلام الليل الدامس تم دفنهما مضرجين بدماء الشهادة الطاهرة وعلامات التعذيب واضحة على الجسدين الشريفين في مقبرة وادي السلام المجاوره للمرقد الشريف للإمام علي (ع).

في أحدث كتاب صادر للمفكر الإسلامي المصري د. محمد عمارة يؤكد أن كثيرًا من المثقفين أرادوا أن تنهض أمتنا عبر بوابة الغرب ، فتنتهج نهجه فكرًا وتطبيقًا ، لكن ذلك لن يحولنا إلا لهوامش تدور في فلك الحضارة الغربية التي تتسيد العالم ، أما الفريق المنادي بالتشبث بالماضي وحده فإنه يتناسى ما يحدث في العالم من تغيرات وأن الدين به ثوابت ومتغيرات ؛ فالمقدسات والقيم المميزة للأمة تاريخيًا تعد ثوابت ، أما سبل القوة والنهضة وأشكال العمران وعلوم العصر فهي "المتغيرات" الضرورية لمواجهة التحديات.

كما يشير المؤلف في كتابه " الإسلام والمستقبل " والصادر مؤخرا عن دار " الشروق " إلى مرحلة فقد فيها الفقهاء والمثقفون الاستقلال فتوالت العقبات في طريق العقل والاجتهاد وبدأت العبودية للنصوص المأثورة رغم أنها ليست جميعًا قطعية الدلالة وتحتمل التأويل ، مؤكدا أهمية تجديد الفكر الإسلامي بالاجتهاد لتجديد الواقع الدنيوي ، كما يشير إلى من يسميهم "فقهاء السلاطين" الذين يزعمون بأن الإسلام ينكر المعارضة ، ويعمل على استئناس أمته لحكامها ، وأن على المسلمين الشكر إذا عدل الحاكم والصبر عليه إن جار أو استبد.

يوضح د. عمارة مسألة التجديد بقوله : يجب أن نميز بين "الثوابت الدينية" تلك المتعلقة بعالم الغيب أو العقائد الأصلية في الدين والتي علمناها عن طريق الوحي السماوي المودع في القران

الكريم، والتي لا مجال فيها للاجتهاد لأنها من الثوابت والتي لا تخضع للتغير أو التطور خلال الزمن، وبين "المتغيرات الدنيوية" تلك المتعلقة بتنظيم المجتمعات والأفراد والتي يمكن للعقل أن يستقل بإدراكها ويطرأ التغير على علتها، والتي يجوز فيها الاجتهاد حتى لو رويت في موضوعاتها نصوص قطعية الدلالة والثبوت.

جامعات البوسنة ملاذ التركيات الهاربات من حظر الحجاب

افتتح رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان الاثنين رسميًا حرمًا جديدًا لجامعة سراييفو الدولية على مشارف العاصمة البوسنية. وقال في حفل الافتتاح "آمل أن تمثل هذه الجامعة جسرًا حضاريًا يربط الناس ويضمن إقرار السلام في البلقان". ويرأس اردوغان حكومة ذات جذور اسلامية وترتدي زوجته الحجاب. غير أن تركيا مازالت دولة علمانية وتمنع النساء فيها من ارتداء الحجاب في الجامعات. ولكن في البوسنة لا يوجد مثل هذا الحظر وهذا من بين الاسباب التي يوردها الشبان الاتراك لقطع هذه الرحلة القصيرة لاستكمال دراستهم في ثلاث جامعات دولية في سراييفو موّلت تركيا اثنتين منها.

مقترح لتجريم فتاوي التكفير في السعودية

تقدم عضو لجنة حقوق الإنسان في مجلس الشورى السعودي الدكتور زهير الحارثي مقترحًا يطالب فيه بضرورة سنّ تشريع

يجرّم فتاوى التكفير الصادرة من خارج المؤسسة الدينية الرسمية, باعتبار أن تلك الفتاوى تجاوزت إشكالية التكفير، ووصلت إلى حد "المساس بمبدأ الدين وقيمه وروحه، وقيمة الوحدة الوطنية، والانتقاص من هيبة نظام الدولة، والتأثير في العلاقات الخارجية التي تربط السعودية بدول العالم".

انتصار السنة والشيعة معًا ضروري للعالم الاسلامي

أوضح الدكتور عبد الرحمن العصيل أن المطلب الحقيقي لكل الأوطان الإسلامية هو انتصار السنة والشيعة معاً , مؤكداً أن هذا التقارب لمْ ولن يكون على حساب طائفة دون أخرى .

وقال : " أن التقارب ليس مطلبًا اجتماعيًا ووطنيًا فقط بل هو مطلبٌ رباني لكل المسلمين, و لا خيار لنّا فيه , استنادًا لقوله تعالى:﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرّقُوا﴾ وإلى جانب المطلب الرباني جاء المطلب النبوي الشريف والقائل : " ولا تعودوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض " , داعياً إلى ضرورة قراءة التاريخ والاستفادة من تجارب الشعوب المتعددة الديانات والمذاهب والأطياف .

وأكد أن الدين الإسلامي أعطى الحرية للناس في عقائدهم, ولم يكرهم في الدين, كذلك الشأن في الطائفة والمذهب, وأن الدليل على ذلك واضح في القرآن الكريم, منوهًا أن أعظم الظلم أن يقف المسلم ضد أخيه المسلم .

أول مؤتمر إسلامي عالمي للمرأة

بحضور حشد كبير من العلماء والمختصين من ١٢ دولة عربية ،ينظم "مركز باحثات لدراسات المرأة" بالرياض بالتعاون مع "جمعية مودة" البحرينية أول مؤتمر اسلامي عالمي لمناقشة اتفاقيات ومؤتمرات المرأة الدولية ، وأثرها على العالم الاسلامي في الفترة ٢٨ ربيع الآخر- ١جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافق ١٣-١٥ أبريل ٢٠١٠م.

ويستهدف المؤتمر، بحسب جريدة "المدينة" السعودية، وضع استراتيجية اسلامية للتصدي للمخططات المشبوهة التي تستهدف المرأة المسلمة، وبيان خطورة توصيات المؤتمرات الدولية التي نظمت تحت مظلة الامم المتحدة على الأسرة المسلمة

غضب مصري ضد فيلم إسرائيلي

توالت في العاصمة المصرية القاهرة البيانات الغاضبة والمقاطعة، ردًا على إصرار المركز الفرنسي للثقافة والفنون بمصر على عرض فيلم لمخرجة إسرائيلية في مهرجان "لقاء الصورة" السادس، نظرًا لمخالفة ذلك لكل قرارات المثقفين والفنانين الصادرة بمصر بمقاطعة كل ما هو إسرائيلي .

أعلنت مجموعة المخرجين المصريين المشاركين في المهرجان في بيان وقعوه مقاطعتهم وسحب أفلامهم من المهرجان الذي يقام في الفترة من ٨ إلى ١٥ أبريل/نيسان الجاري. وقال البيان "نعلن رفضنا

لما قامت به الخارجية الفرنسية بتدخلها السافر وضغطها غير المقبول على إدارة مهرجان لقاء الصورة الذي يقيمه المركز الثقافي الفرنسي بإجبار المركز على عرض فيلم "شبه طبيعي" للمخرجة الإسرائيلية كارين بن رافاييل في المهرجان الذي نعتبره مهرجانًا خاصًا بالأفلام المصرية المستقلة". وأعرب المخرجون المصريون في بيانهم عن اندهاشهم لتدخل هيئة دبلوماسية سياسية تمثل دولة فرنسا في حدث سينمائي وقيامها بالضغط على المركز الثقافي الفرنسي، بينما تعلن فرنسا دومًا أن لمفكريها وفنانيها الحق في اتخاذ المواقف التي يرونها، "فكيف تقدم على إجبار المخرجين والسينمائيين المصريين على اتخاذ مواقف فنية وسياسية متناقضة مع مواقفهم المبدئية؟".

تلقيت برقيتكم الكريمة التي جسدت أبوتكم ورعايتكم الروحية للنجف الأشرف الذي لا يزال منذ فارقكم يعيش انتصاراتكم العظيمة، وإني أستمد من توجيهكم الشريف نفحة روحية، كما أشعر بعمق المسؤولية في الحفاظ على الكيان العلمي للنجف الأشرف، وأود أن أعبر لكم بهذه المناسبة عن تحيات الملايين من المسلمين والمؤمنين في عراقنا العزيز الذي وجد في نور الإسلام الذي أشرق من جديد على يدكم ضوءا هاديًا للعالم كله، وطاقة روحية لضرب المستعمر الكافر والاستعمار الأمريكي خاصة، ولتحرير العالم من كل أشكاله الإجرامية وفي مقدمتها جريمة اغتصاب أرضنا المقدسة فلسطين. ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يمتعنا بدوام وجودكم الغالي. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإمام الشهيد الصدر فى رسالته إلى الإمام الخمينى